الفصل الثالث

obeikandl.com

الفصل الثالث

أحوال مصر فى عصر الولاة

٢١ هـ - ٢٥٤ هـ / ٦٤٢م - ٨٦٨ م

أولا : الفتح العربى وإرساء دعائم الحكم

ثانيا : ملامح نظم الحكم لمصر فى عصر الولاة

أ - النظام الادارى ب - النظام المالى جـ - النظام الحربى د - النظام القضائى

ثالثا : عوامل انتشار الاسلام واللغة العربية فى مصر

أ - العوامل السياسية والادارية

ب - العوامل المالية والاقتصادية

جـ - العوامل الاجتماعية

د - العوامل الدينية والثقافية

obeikandl.com

الفصل الثالث

أحـوال مصـر فى عصـر الـولاة

(٢١ - ٢٥٤ هـ / ٦٤٢ - ٨٦٨ م)

كانت مصر فى النصف الثانى من القرن السابع الميلادى أى قبيل الفتح الإسلامى فى حالة من الاستعداد لقبول أى تغيير فى أحوالها وبما يمكنها من التخلص من نير السلطان البيزنطى عليها ويستدل على ذلك من عدة مظاهر منها :

- الاضطهاد الذى لاقاه المصريون من البيزنطيين لاختلافهم عنهم فى المذهب المسيحى فقد أجبرهم هرقل إمبراطور بيزنطة على تقبل سلطة واليه رجل الدين البيزنطى قيرس أو المقوقس سنة ٦٣١ م الذى كرهه المصريون لتسببه فى هرب بطريركهم " بنيامين " حتى أعاده عمرو بن العاص بعد أن تم له فتح مصر .

- حالة مصر السياسية حيث كانت مقسمة إداريا إلى أقاليم (دوقيات) منفصلة عن بعضها فلم يكن بها جيش موحد يواجه الفتح العربى .

- حالة مصر الاجتماعية حيث كانت الاسكندرية تعتبر مركزا يونانيا أجنبيا على أرض مصر التى اشتهرت بثرائها الفاحش بينما تعانى باقى الأقاليم من اضطهاد الحكام وتعسف جباة الضرائب ونير نظام الحماية .

كانت نتيجة كل هذه المظاهر اهمال الأراضى الزراعية وانتشار الفقر واضمحلال التجارة ، إلا انه تميزت فترة الحكم البيزنطى بظهور وتآلف الروح القومية المصرية باتخاذ المصريين من كنيستهم ولغتهم القبطية رمزا على وجودهم واستقلالهم الروحى عن الحكم البيزنطى وكان من أثر ذلك أن تطلعت البلاد إلى التغير وهكذا ساعدت تلك الأحوال على تقبل المصريين للانتقال من السلطة البيزنطية إلى السلطة العربية ، خاصة لإعلان العرب الدائم أنهم لايقاتلون أهل البلاد وإنما يقاتلون جيوش احتلال البلاد التى تمنع وصول دعواهم وتبشيرهم بالدين الجديد للأهالى ولقد ساعدت شخصية المصريين المستقلة روحيا عن بيزنطة على تقرير مصيرهم فقد أسدوا العون إلى الفاتحين العرب .

إن التمهيد السابق يبرز حالة مصر قبيل الفتح العربى مباشرة وهو الذى يعلل تقبل المصريين للفتح العربى وانتشار الاسلام والعربية فى ربوع مصر وتحول مصر كلية إلى العربية الإسلامية من البيزنطية المسيحية و لقد كانت لهذه الظروف أهم الأثر فى رسم الصورة للتعليم فى مصر أثناء عصر الولاة عن طريق مناقشة المحاور الآتية :

أولا : الفتح العربى لمصر وإرساء دعائم الحكم .

ثانيا : ملامح نظم الحكم لمصر فى عصر الولاة .

ثالثا : عوامل انتشار الإسلام واللغة العربية فى مصر .

أ – العوامل السياسية والإدارية

ب – العوامل المالية والاقتصادية

جـ – العوامل الاجتماعية

د – العوامل الدينية والثقافية (طبيعة النهضة العلمية فى الفسطاط)

أولا : الفتح العربى وإرساء دعائم الحكم :

يعد فتح العرب المسلمين لمصر بداية لحقبة جديدة فى تاريخ مصر وحضارتها حيث كان البداية القوية للتحول المصرى من الثقافة اليونانية البيزنطية إلى الثقافة العربية الإسلامية، لذا كان من الضرورى التعرض بشىء من الإيجاز لأحداث هذا الفتح وذلك لبيان دوره فى إدخال ونشر الإسلام واللغة العربية فى مصر ، وما أتبعه من ظهور الحاجة إلى نمط تعليمى جديد لذلك الدين وهذه اللغة حيث قد ظهر بالفعل ما يسمى بالتعليم العربى الإسلامى ذلك النظام الذى بدأ مع الفتح نفسه وأخذ فى الارتقاء والتطور تابعا فى ذلك نمو وارتقاء الحياة الإسلامية والعربية فى مصر ذاتها .

وتبدأ أحداث الفتح العربى لمصر حين سافر الخليفة عمر بن الخطاب إلى الشام لتسلم بيت المقدس بنفسه بناء على طلب بطريركها صفرنيوس حيث اجتمع عمرو بن العاص بالخليفة عمر بن الخطاب فى الجابية قرب دمشق واستأذنه فى المسير إلى مصر لفتحها [١] .

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها ، تحقيق محمد صبيح ، القاهرة (١٩٧٤ م) ، جـ١ ص ٥٧ .

وذلك لأنه كانت لمصر مكانة متميزة فى قلوب العرب عامة وعمرو بن العاص خاصة فلقد ورد ذكر مصر فى القرآن الكريم مرات عديدة (١) .

كما ورد ذكر مصر فى العديد من الأحاديث النبوية . فقد بشر الرسول (صلى الله عليه وسلم) بفتحها وأمر المسلمين بحسن معاملة أهلها والاستعانة بهم كجند ، وقد تميزت مصر بالكثير من الفضائل فقد كان العرب على علم بثرائها ورخائها وخصوبة أراضيها ، وكذا كان العرب على علم بما يعانيه المصريون من سوء الحكم البيزنطى والاضطهاد الدينى مما حفز العرب على القدوم إليها وسعى عمرو بن العاص لفتحها (٢) .

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى أوجبت الضرورة الحربية العمل على فتح مصر لتأمين الفتوحات العربية فى الشام لحماية عاصمة الدولة نفسها لموقع مصر المسيطر والمتحكم فى البحر الأحمر الذى يمثل تهديدا للجزيرة العربية (٣) .

لقد كان كل ذلك معلوما للخليفة وقواده بخاصة عمرو بن العاص الذى بدأ بعرض فكرة فتح مصر إلا أن الخليفة اشترط على عمرو أنه إذا وصله كتابه قبل دخول مصر أن يرجع ، ولعل السبب فى موقف الخليفة رغم اقتناعه بأهمية الفتح أنه قد رغب فى التريث خوفا من إنهاك جيوشه لكثرة ماخاضت من معارك استمرت لفترات طويلة حتى يتيح لهم بعض الراحة(٤) .

ومما يدل على اقتناع الخليفة مانقله ابن الحكم عن الليث بن سعد أن عمر بن الخطاب كتب إلى عمرو بن العاص بعد فتح الشام " أن اندب الناس إلى المسير معك إلى مصر ، فمن خف معك فسر به ، وبعث به مع شريك بن عبيدة ، فندبهم عمرو فأسرعوا بالخروج معه"(٥) .

---

(١) السيوطى ، حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ، القاهرة (١٢٩٩ هـ) ، جـ١ ص ص ٥ : ٧ / المقريزى ، المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار ، بولاق ، القاهرة (١٢٧٠ هـ) ، جـ١ ص ٢٣ "ذكر أن مصر ذكرت فى القرآن بضعا وعشرين مرة تارة بصريح الذكر وتارة إيماء" .

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها (مصدر سابق) ، ص ص ٢ : ٤ / المقريزى ، المصدر السابق ، جـ١ ص ص ٣٥: ٣٩ / ابن الكندى ، فضائل مصر ، مكتبة وهبة ، القاهرة (١٩٧١ م) ، ص ٣ .

(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر ، اللجنة البيان العربى ، القاهرة (١٣٢٩ هـ) ، ص ٨٠ ، ٨١ .

(٤) (نفس المصدر)، ص ٨١ ./ ابن إياس ، بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، بولاق ، القاهرة (١٩٨٢م) ، جـ١ – م١ ، ص ٩٤ ، ٩٥ .

(٥) ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص ٤٨ .

فخرج عمرو بن العاص من قيسارية بجيش مكون من أربع آلاف رجل فى أواخر سنة ١٨ هـ (٦٣٩ م) متخذا الطريق الذى يمر به القادمون إلى مصر من جهة الشرق حتى بلغ العريش . ثم اتجه غربا بعيدا عن البحر حتى وصل إلى الفرما تلك المدينة الحصينة شرقى بورسعيد الحالية ، والتى تعد مفتاح مصر من الشرق حيث تتصل بالبحر عن طريق خليج ، كما كان أحد فروع النيل وهو الفرع البلوزى يصب فى البحر قريبا منها فحاصرها شهرا حيث تعرض لقتال بيزنطى شديد حتى تمكن من اقتحامها وذلك حين خرجت الحامية لقتالهم فأسرعوا بالدخول إليها وذكر ابن عبد الحكم"أن القبط فى الفرما كانوا نعم العون لعمرو"(١) .

وذكر بتلر عن فتح الفرما ، أن تقاعس الروم عن الدفاع عن الفرما يعد أول مـاارتكبوه من أخطاء أثناء حربهم مع العرب (٢) .

وبعد فتح الفرما تقدم عمرو لبلبيس فى المحـرم سنة ١٩ هـ يناير ٦٤٠ م وحاصرها شهرا حتى فتحها بعد قتال شديد فانفتح بذلك الطريق إلى رأس الدلتا وحصن بابليون (٣) .

وانتقل عمرو إلى قرية أم دنين شمال حصن بابليون وكان النيل يمر بهـا وقتها ، وبدأ الروم يشعرون بجسامة الخطر ، فعملوا على تحصين بابليون حتى اضطر عمرو إلى طلب المدد من الخليفة الذى أمده بأربعة آلاف جندى على رأسهم قادة كبـار منهم الزبير بن العوام والمقداد بن عمرو وعبادة الصامت (٤) .

وصل المدد إلى عمرو فى جمادى الآخرة سنة ١٩ هـ (يونيو ٦٤٠ م) فتقابل مع الروم فى معركة عين شمس (هليوبوليس) فقد كان هدف عمرو هو اجتذاب الروم للخروج من الحصن حتى يتمكن من مقابلتهم فى أرض مفتوحة ، فلما خرج الروم لقتاله أحـاط بهم الجيش العربى من ثلاث جهات فشتت شملهم ، وبعدأن ثم لعمرو النصر بدأ فى إجراءات التفاوض للصلح مع المقوقس حاكم مصر بعد أن تمكن العرب من اختراق الحصن بعد محاولة الزبير الجريئة لتسلق الحصن (٥) .

---

(١) بن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب ، ص ٤٩ .

(٢) بتلر ، فتح العرب (مرجع سابق) ، جـ١ ، ص ١٥٩ .

(٣) نفس المرجع ، ص ١٦١ / المناوى ، مصر فى ظل الاسلام من الفتح العربى ، دار المعارف ، القاهرة (١٩٧٠ م) ص ١١ .

(٤) الواقدى ، فتوح مصر والاسكندرية ، طبع ليدن ، بريل (١٨٣٥م) ، ص ص ٧٥ : ٧٧ / ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص ٩١ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، المطبعة الكبرى ، القاهرة (١٢٩٠ هـ) ، جـ٢ ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

وبعد ذلك عقد عمرو مع المصريين معاهدة بابليون الأولى سنة ١٩ هـ (٦٤٠ م) وكانت أهميتها أن بابليون تعد أهم مراكز مصر الحضارية لموقعها على رأس الوجه القبلى والدلتا وعلى الطريق للاسكندرية وقد حددت هذه المعاهدة وضع المصريين كأهل ذمة عليهم دفع الجزية حيث أن المقوقس اشترط موافقة الإمبراطور عليها إلا أن الامبراطور رفض وعنفه على ذلك فاستعد للحرب فى الأسكندرية وتجهز له المسلمون (١) .

وبعد هذه الفتوح توجه عمرو بجيوشه إلى الأسكندرية لتعقب فلول الرومان بها ولسحق مركز السلطة البيزنطية بها فتحصن الروم بها لإدراكهم خطورة فقدهم لها لكونها آخر معاقلهم فى مصر وهذا ما شجع العرب على الاستماتة فى فتحها لإدراك أهمية ذلك فى سبيل احتفاظهم بفتوحاتهم فى مصر ذلك لوجود أساطيل الروم ومجيء المدد إليها باستمرار وقد أدرك عمرو صعوبة فتح الأسكندرية عنوة فترك حامية لحصارها وخرج لفتح باقى مدن وقرى مصر فى الوقت الذى ساد فيه الاضطراب لموت هرقل ومانشأ من خلاف فى صفوف الروم (٢) .

لقد أجبرت هذه الظروف المقوقس أن يفاوض عمرو بن العاص على تسليمه مصر للعرب ، وقد تم الصلح فى ٨ نوفمبر سنة ٢٠ هـ (٦٤١ م) الذى عرف بمعاهدة بابليون الثانية أو (صلح الاسكندرية) وذلك لتعلق معظم شروط المعاهدة بها وكان أهم ماجاء بها :

- أن يقوم بدفع الجزية كل من دخل فى العقد وبلغ الحلم عدا الشيوخ والنساء والأطفال .

- عقد الهدنة لمدة أحد عشر شهرا يتم أثناءها جلاء الروم بأموالهم ومتاعهم عن مصر برا أو بحرا ، وأن يظل العرب محتفظين بمواضعهم مدة الهدنة ولايسعون إلى الاسكندرية .

- ألا يسعى الروم إلى العودة إلىَ مصر أو محاولة استردادها من العرب .

- ألا يتعرض العرب لكنائس المسيحيين أو يتدخلوا فى شئونهم الدينية .

- أن يتم السماح لليهود بالإقامة فى الاسكندرية .

- على أقباط مصر استضافة من ينزل عليهم من العرب ثلاثة أيام مفترضة (٣) .

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب (مصدر سابق) ، ص ص ١٠٣ : ١٠٦ .

(٢) بتلر ، فتح العرب لمصر ، (مرجع سابق) ، جـ١ ص ٢٢٨ .

(٣) ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص ١٠٣ .

- أن يقدم الروم للعرب (١٥٠) جنديا و (٥٠) مدنيا كرهائن لضمان تنفيذ شروط الصلح .

وفى سبتمبر سنة ٦٤٢ م (اواخر سنة ٢١ هـ) تم جلاء جنود الرومان عن مصر وانضوت البلاد تحت لواء الاسلام بعد قتال دام أكثر من عامين [١] .

وقد حاول الروم معاودة غزو مصر لاستردادها وذلك سنة ٢٥ هـ (٦٤٥ م) فى عهد قسطنطين الثانى (٦٤١ م - ٦٦٨ م) الذى أرسل أسطولا كبيرا تمكن من الاستيلاء على الاسكندرية وبعض مدن مصر السفلى ، فى ولاية عبد الله بن أبى السرح فى عهد عثمان بن عفان ، فاضطر الخليفة تحت إلحاح أهل مصر إلى إرسال عمرو بن العاص لاسترداد مصر لمعرفته الكبيرة بحرب الروم فى مصر فتمكن من التصدى لذلك الغزو وقتل قائده وقام بهدم أسوار الاسكندرية (٢) .

فتم بذلك فتح مصر للمرة الثانية وبواسطة عمرو بن العاص أيضا .

إرساء دعائم الحكم فى مصر :

كان للفتوحات العربية بصفة عامة أثر كبير فى نشر الاسلام والثقافة العربية حيث أن العرب يقومون مباشرة بالعمل على تأسيس دعائم وجودهم فى البلد المفتوح ولم يختلف ذلك الأسلوب بالنسبة لمصر حيث اعتمد على مايلى :

أ - العلاقة المتبادلة بين العرب والمصريين .

ب - اختطاط الفسطاط والجامع بها .

أ - العلاقة المتبادلة بين العرب والمصريين :

١ - موقف الأقباط من الفتح والفاتحين :

كان المصريون خير عون لعمرو حين حاصر الفرما وذلك بناء على كتاب الأسقف القبطى بنيامين بذلك فقد لازم رؤساء القبط عمرو فى طريقه إلى الاسكندرية وأثناء حصاره لها أنهم عاونوه معاونة صادقة فأصلحوا له الطرق وأقاموا الجسور وكانوا نعم العون لعمرو فى قتال الروم (٣) .

---

(١) المناوى ، مصر فى ظل الاسلام (مرجع سابق) ، ص ١٥ .

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها (مصدر سابق) ، ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

(٣) ابن عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص ٤٩ ، ٥٧ / المناوى ، المرجع السابق ، ص ١٨ .

وحتى من لم يقدم العون والمساعدة المباشرة للعرب من القبط لعدم تأكدهم من نوايا العرب فقد التزموا الحياد فلم يعاونوا الروم ، لقد كانت الروح السائدة للقبط هى الترحيب بالعرب خلاصا مما يعانوه (١) .

٢ – موقف العرب من القبط :

لقد وصل العرب مصر وهم يحملون فى نفوسهم صورة البلد التى تعدد ذكرها فى القرآن الكريم والتى بشرهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) بفتحها وأوصاهم بأهلها خيرا فرأى عمرو بن العاص أن يحسن إلى أهلها لعلمه بأحوالهم فلما تم له الفتح بدأ تقربه للمصريين باستدعاء البطريرك بنيامين وأمنه وأعاده للبطريركية بعد أن اضطر إلى الاختباء عند وصول المقوقس إلى مصر خوفا من أن يجبره على الاعتراف بالمذهب الجديد ، وهذا جعل البهجة والسرور تعمان قبط مصر (٢) .

وقد أكمل عمرو أمانه للقبط بأن أحسن استقبال رهبان الأديرة ومنحهم الأمان لأنفسهم وأديرتهم (٣) .

فبدأ المسيحيون القبط فى ترميم ما تهدم من كنائسهم ، وفى بناء كنائس جديدة ، وتمتعوا بالحرية الدينية الكاملة وقد شاركهم العرب فى احتفالاتهم الدينية ، وظلت اللغة القبطية لغة شعائرهم بدلا من اليونانية والرومانية حتى غدت لغة الدواوين فى مصر إلى أن حلت محلها العربية . لقد شعر الأقباط فى ظل الحكم الجديد بالحرية والسماحة الدينية كما لم يعهدوه من قبل (٤) .

حتى الجزية لم تكن بالمرهقة وكانت مقابل تعهد العرب بحمايتهم وكانت ترفع عمن يسلم ،إن هذه السياسة أدت إلى إقبال الكثير من القبط على اعتناق الاسلام حيث أحس القبط

---

(١) سيدة كاشف ، مصر فى عصر الولاة (مرجع سابق) ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ م الخربوطلى ، الاسلام وأهل الذمة ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة (١٩٦٩ م) ، ص ١٥٩ .

(٢) الاسحاقى ، أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول ، دار الكتب ، القاهرة (١٩٢٧ م) ص ص ٥٣ / الشرقاوى ، تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين ، دار الكتب ، القاهرة (١٩٢٧ م) ، ص ص ٥ :٩ / ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها (مصدر سابق) ، جـ١ ص ١٣ ، ١٤ .

(٣) المقريزى ، الخطط (مصدر سابق) ، جـ١ ، ص ١٨٦ .

Lane Pool (Stanly), A History of Education in the Middle Ages, 4th ed, London, (1925), p. 26 .

(٤) الكندى ، كتاب الولاة وكتاب القضاة ، بيروت (١٩٠٨ م) ص ١٣٢ / ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ط١ دار الكتب ، القاهرة (١٩٣٠م) ، جـ٢ ، ص ٦١ .

بمدى اختلاف العرب عن الرومان فى بساطة معيشتهم وسماحة نفوسهم وأخلاقهم القريبة من الأخلاق التى يحبها القبط (١) .

تلك المعاملة التى وطدت الحكم العربى فى مصر والتى ظهرت آثارها الايجابية عند عودة الروم للاستيلاء على الاسكندرية سنة ٢٥ هـ ، أرسل قبط مصر للخليفة عثمان بن عفان يرجونه أن يرسل عمرو بن العاص اليهم بعد عزله للدفاع عن مصر ضد الروم (٢) .

ب - **اختطاط الفسطاط والجامع :**

اعتاد العرب فى فتوحاتهم على تأسيس عواصم جديدة فى الأقطار المفتوحة كى تكون رمز السيادة العربية فيها ، ولذا فقد اختط عمرو بن العاص مدينة الفسطاط بمصر لتكون نواة المجتمع العربى الإسلامى بها وذلك بالقرب من حصن بابليون حيث أن عمرو قد أدرك أهمية هذا الموقع أثناء حصاره للفسطاط وذلك أفضل من موقع الاسكندرية بالنسبة لاتصاله بالمدينة المنورة مركز الخلافة (٣) .

لقد كان لبقاء العرب طويلا حول حصن بابليون وما وفره لهم الموقع من يسر فى مطالب المعيشة وما تمتع به من مزايا لم يترك مجالا للاختيار فهى على ضفة النيل الشرقية (٤).

أما اسم الفسطاط فمن المرجح أنه من أصل غير عربى حيث اشتق من اللفظ اليونانى "فساطن" الذى يطلق على المعسكرات الحربية (٥) .

ولأن مدينة الفسطاط أنشئت لتكون مركزا للدولة العربية وقاعدة للإدارة والقيادة وعاصمة للإسلام فكان أول ماختطه بها عمرو موقع الجامع فكان جامعه العتيق أو مايسمى الآن بجامع عمرو بن العاص وكان موقعه لرجل يدعى قسيبة بن كلثوم التجيبى ، ويكنى بأبى

---

(١) اليعقوبى ، تاريخ التعقوبى ، دار الصادر ، بيروت (١٩٦٠ م) ، جـ٢ ص ١٨٩ / البلدان ، القاهرة (١٩٨١م) ، ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ /

Arnold, T.W, B.A, The Preaching of Islam, London, (1896), p. 84, 88, 89.

(٢) قلادة ، المسيحية والاسلام (مرجع سابق) ، ص ٢١ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ (مصدر سابق) ، جـ٢ ، ص ٢٤٠ .

(٤) العمرى ، مسالك الأمصار ، تحقيق ايمن فؤاد سيد ، طبع المعهد الفرنسى ، القاهرة (١٩٨٥م) ، ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٥) القلقشندى ، صبح الأعشى فى صناعة الانشاء ، المطبعة الأميرية ، القاهرة (١٩١٣م) ، جـ٣ ، ص ٣٣٠ م فريد شافعى ، العمارة العربية فى مصر الاسلامية ، هيئة الكتاب ، القاهرة (١٩٧٠م) جـ١ (عصر الولاة) ، ص ٣٤٢.

عبد الرحمن الذى تصدق بهذا الموقع وكان ذلك سنة ٢١ هـ وقد وقف على بنائه عدد كبير من الصحابة منهم الزبير بن العوام ، والمقداد بن الأسود ، وعبادة بن الصامت ، وأبو ذر الغفارى وغيرهم (١) .

لقد بنى الجامع مشابها لجامع دمشق وكان أول مسجد بنى فى مصر لإقامة الصلاة وممارسة الشعائر الدينية وقد كان أيضا مدرسة مصر الدينية ومركزا للقضاء (٢) .

وبدأت القبائل العربية فى الاختطاط حول المسجد فاتخذت بذلك مدينة الفسطاط تتسع ويزداد عمرانها بسرعة كبيرة ، وتم بناء الدور بها حتى ارتفعت بعضها لعدة طبقات وبنيت المساجد داخل الخطط فضل عن الحمامات والأسواق (٣) .

وكانت قبائل مهرة أولى القبائل التى اختطت بالفسطاط ، ثم تبعها نحر وثقيف ثم باقى القبائل (٤) .

أخذ التنافس يزداد بين القبائل حول المواقع مما حدا بعمرو إلى تشكيل جماعة من كبار الصحلبة تتولى تنظيم منازل القبائل وجعلوا لكل قبيلة حرسا خاصا ورايةً لتميزها عن بقية القبائل (٥) .

وقد اختط بالفسطاط عدد كبير من الصحابة من الذين سيكون لهم أكبر دور فى الحركة العلمية والعقلية فى الفسطاط منهم عمرو بن العاص نفسه وولده عبد الله ، والزبير بن العوام ، وقيس بن سعد بن عبادة الأنصارى ، ومسلمة بن مخلد ، وعقبة بن عامر الجهنى ، وغيرهم(٦).

وقد سمح العرب لأهل البلاد بالبقاء فى الفسطاط ممن أرادوا مجاورة الطبقة الحاكمة (٧) .

---

(١) ياقوت الحموى ، البلدان ، دار الصادر ، بيروت (١٩٨٤م) ، جـ٤ ، ص ٢٥٦ / البغدادى ، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ليدن ، بريل (١٨٥٢م) ، جـ٢ ، ص ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

(٢) المقدسى ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، ط٢ ، ليدن ، بريل (١٩٠٩م) ، ص ١٩٩ .

(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها (مصدر سابق) ، جـ١ ، ص ٧٣ / محمد عنان ، مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، ط١ ، الخانجى ، القاهرة (١٩٦٩م) ، جـ١ ص ١١ .

(٤) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ط٢ ، ليدن ، بريل (١٩٦٧م) ، ص ص ١٣١ : ١٣٤ / ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب (مصدر سابق) ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ .

(٥) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة (مصدر سابق) ، جـ١ ص ٦٥ / البرى ، القبائل العربية فى مصر فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، هيئة الكتاب ، القاهرة (١٩٩٢م) ، ص ٥٩ ، ١٤٠ ، ١٧٢ .

(٦) القلقشندى ، صبح الأعشى (مصدر سابق) ، جـ٣ ، ص ٣٣٣ .

(٧) لين بول ، سيرة القاهرة ، ترجمة حسن ابراهيم حسن ، النهضة المصرية ، القاهرة (١٩٥٠م) ، ص ٧٠ ، ٧١ .

وهكذا استطاع العرب تثبيت أركان حكمهم لمصر ونشر دينهم وثقافتهم ولغتهم .

ثانيا : ملامح نظم الحكم فى عصر الولاة :

بعد أن تم للعرب فتح مصر ولاحت لهم بوادر الاستقرار بها قاموا بتنظيم الحكم فى مصر وذلك بهدف نشر الاسلام بين أهل مصر ، واللغة العربية وكان هذان الهدفان هما الاطار الذى رسم سياسة العرب فى تنظيم حكم مصر وذلك فى أربع نواحى وهى :

أ - النظام الإدارى ب - النظام المالى جـ - النظام الحربى د - النظام القضائى

أ - النظام الإدارى :

فتح العرب مصر ذات الحضارة العريقة والنظام الإدارى المحكم فى ذلك الوقت والمسيطر بقوة على الشئون المختلفة لمصر ذلك النظام الذى أبقى عليه العرب فى بداية الفتح كما هو دون أدنى تغيير فقد تمسك العرب بالمناصب الإدارية العليا بينما تركوا ما دون ذلك (الوظائف التنفيذية) إلى القبط [١]

كان الوالى أو الأمير على رأس الجهاز الإدارى وكان مقره دار الامارة وهو ممثل الخليفة ، بيده السلطتين الزمنية والمكانية وكانت أهم اختصاصاته إقامة الصلاة رمز الدين وقيادة الجند ومشرفا على القضاء والخراج وكان تعيين القاضى وعامل الخراج من قبل الخليفة مباشرة حتى لاتكون سلطة الوالى مطلقة فى البلاد (٢) .

وكان أول وال على مصر هو " عمرو بن العاص " وقد ظل على ولايتها منذ فتح مصر حتى سنة ٢٤ هـ حين عزله عثمان بن عفان ولما عرض عليه عثمان ولايتها مرة أخرى بعد أن هزم الروم سنة ٢٥ هـ على أن يكون عبد الله بن سعد على الخراج رفض عمرو ذلك إلا أنه تولى مصر من سنة ٣٨ هـ صلاة وخراجا حتى وفاته (٣) .

---

(١) سعيد عاشور ، بحوث فى تاريخ الاسلام وحضارته ، عالم الكتب ، القاهرة (١٩٨٧م) ن ص ١٤٧ ، ١٤٨ / محمود اسماعيل ، سوسيولوجيا الفكر الاسلامى (محاولة تنظير) ، ط١ دار الثقافة ، بيروت (١٩٨٠م) جـ١ (طور التكوين) ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٢) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها (مصدر سابق) ، جـ١ ص ١٨٧ / الماوردى ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الفكر ، القاهرة (١٩٨٣م) ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٣) ابن عبد الحكم ، (المصدر السابق) / المناوى ، مصر فى ظل الاسلام (مرجع سابق) ، جـ١ ص ٤٣ .

وياتى بعد منصب الوالى من حيث الأهمية منصب " صاحب الشرط " وكان مركزه فى الفسطاط وكان الوالى هو الذى يعينه وكان ينوب عن الوالى أثناء مرضه فى الصلاة وفى إدارة شئون البلاد وهو المسئول عن النظام وحفظ الأمن وتنفيذ الأوامر القضائية والمحافظة على الأخلاق والآداب ويعاون صاحب الشرطة أعوان له فى جميع أنحاء البلاد لإقرار الأمن والنظام (١) .

ومن الوظائف الهامة وظيفة (القاضى) الذى كان يتم اختياره من بين العلماء والفقهاء وقد كان الخلفاء فى صدر الاسلام يقومون بهذه الوظيفة ، وكان أول قاض على مصر هو " عثمان بن قيس بن أبى العاص" الذى جلس للقضاء فى المسجد الجامع حتى سنة ٣٥ هـ الذى صار بعدئذ هو مركز القضاء فى عصر الولاة (٢) .

أيضا منصب تم استحداثه فى الدولة الأموية وهى وظيفة (صاحب البريد) فى عهد معاوية بن أبى سفيان بغرض معرفة أخبار الولايات وتوصيل البريد بين الولايات والخلافة دون إبطاء (٣) .

كانت مصر مقسمة إداريا بعد الفتح إلى قسمين هما : مصر العليا ، ومصر السفلى وكان كل قسم منقسم إلى عدة كور وصاحب الكورة هو المسئول عن الخراج ، وكان النظام مركزيا بيد الوالى فضلا عن مهمة صاحب البريد الذى يبلغ الخليفة بأخبار الولاية (٤) .

ب - النظام المـــــالى :

لقد أولى العرب الإدارة المالية لمصر جل اهتمامهم لضمان استغلالهم لموارد هذا الاقليم ، وإن كانوا قد اختلفوا عن غيرهم من حيث درجة الاستغلال ، فبينما اشتط البعض فى جمع الضرائب فإن الآخرين ممن رأو الحفاظ على مصلحتها وقد مثل الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك الاتجاه الأول حينما كتب لمتولى الخراج " احلب الدر حتى ينقطع واحلب الدم حتى ينصرم " وكان عمرو بن العاص ممن يترفق بمصر وقد أجاب على عثمان بن عفان بقوله " أدررتم بوليدها (٥) .

---

(١) الكندى ، الولاة والقضاة ، (مصدر سابق)، ص ص ١٠٢ : ١٠٧ / المقريزى ، الخطط ، جـ١ ص ٥ ، ٢٩٩.

(٢) السيوطى ، حسن المحاضرة (مصدرسابق) ، جـ١ ص ص ٢٨٧، ٢٨٨ .

(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر وأخبارها (مصدر سابق) ، ص ٢٤٥ .

(٤) سيدة كاشف ، مصر فى عصر الولاة (مرجع سابق) ص ص ٢٥ : ٢٧ .

(٥) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة (مصدر سابق)جـ١ ص ٢٣١ / ابن حوقل ، صورة الأرض (مصدر سابق)، ص٣٥ .

وكانت أهم مظاهر هذا النظام تتمثل فى :

- الجـــزية - الخراج والملكية العقارية - ديوان الخراج والأموال

- الجـــــــزية :

كانت أول النظم المالية التى وضعها المسلمون وكانت أهم الضرائب فى عصر الولاة هى " ضريبة الرأس" التى كانت تفرض على أهل الذمة من المسيحيين واليهود وهى التى فرضت على أهل مصر بعد معاهدة بابليون الأولى وكانت دينارين على كل بالغ من القبط ويعفى منها الشيوخ والأطفال والنساء وقد بلغت وقتئذ اثنى عشر ألف ألف دينار كل عام (١) .

وقد راعى العرب أحوال المصريين فيما يختص بالجزية كى يعملوا على تثبيت سلطانهم فى البلاد وكى لايتعرضوا لثورات المصريين وحتى يسود النظام المالى الأمن والاستقرار فأعفوا منها غير القادرين والرهبان فضلا عن النساء والأطفال والشيوخ (٢) .

لقد اختلفت مقادير الجزية بين الذميين باختلاف مقادير ثرواتهم فمنهم من كان يدفع دينارين ومنهم من يدفع أقل كل بحسب قدرته بعد أن يقدم كشفا ماليا بممتلكاته (٣) .

وقد أكد الفقهاء على وجوب هذا التفاوت فى تقدير الجزية مراعاة للعدل ولأحوال أهل الذمة فى مصر وكان المسلمون يدفعون الزكاة والصدقات مقابلا للجزية (٤) .

- الخراج والملكية العقارية :

كان الخراج فى مصر يعد أساس احتساب الضرائب والتى كان صاحب الخراج يعد رئيسها وقد اعتبر العرب أنهم فتحوا مصر سلما فإنهم كانوا لايقاومون العرب لذا فقد ترك العرب الأراضى لأهلها يزرعونها مقابل دفع مقدار متفق عليه من الجزية والخراج وذلك كى لاينشغل الجند بالزراعة عن الجهاد وأيضا تألفا لقلوب أهل البلاد (٥) .

---

(١) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب (مصدر سابق) ، ص ١٢١ ، ١٢٢ .

(٢) ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة ، تحقيق مصطفى السقا ، دار الكتب القاهرة (١٩٦٩م) ، ص ١٢٥ / الرافعى وسعيد عاشور ، مصر فى العصور الوسطى (من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى) ، النهضة العربية ، القاهرة (١٩٨٦م) ، ص ص ٦٦ : ٦٩ .

(٣) جروهمان، أوراق البردى العربية ، ترجمة حسن ابراهيم وآخرون ، دار الكتب ، القاهرة ، السفر الثالث (١٩٦٧م) ، ص ص ٢٠١ : ٢٠٣ ، ٢١٩ : ٢٢١ .

(٤) الماوردى ، الأحكام السلطانية (مصدر سابق) ، ص ١٣٨ / سيدة كاشف ، مصر فى عصر الولاة (مرجع سابق)، ص ص ٣٣ : ٣٥ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ (مصدر سابق) ، جـ٢ ، ص ٢٣٩ .

وكان اساس تقدير الجباية هو مساحة الأرض وجودتها ومقدار فيضان النيل ، وكان الخراج يجبى نقدا أو عينا وكان ينفق منه على الجند المرابط فى مصر(١) .

وما لبث بعد ذلك أن امتلك بعض العرب لبعض الأراضى وقاموا بتأجيرها وهى الأراضى التى كان يدفع العشر زكاة لها وكان القبط يدخلون الاسلام ليتخلصوا من دفع الخراج ولتحويل أراضيهم إلى أراضى العشر وقد جاء ذلك فى البرديات المكتشفة عن هذا العصر (٢).

إلا أن الدولة العربية حين أحست بالنقص الشديد فى موارد الدولة نتيجة لدخول القبط فى الاسلام أبقت عليهم الخراج، ولعل هذا الأمر نظر اليه من الوجهة المالية . فأصبحت الأراضى بمرور الوقت يفرض عليها الخراج سواء أسلم ملاكها أو كانت ملكا لأحد المسلمين (٣) .

حقا كان الخراج فى مصر فى عصر الولاة يتسم بقدر من العدل ومراعاة الظروف لأهل البلاد إلا أن البلاد كانت تلاقى أحيانا تعسفا من الولاة والجباة فى جمع الأموال (٤) .

- ديوان الخراج والأموال :

كان يعد أهم الدواوين فى عصر الولاة وهو الذى تحفظ فيه أموال الضرائب وأموال اليتامى وأيضا من ليس لهم ورثة ، وكان له عدة فروع فى كافة أقاليم الولاية وعلى رأسها صاحب الخراج (٥) .

وكان العرب بعد الفتح قد تركوا ديوان الخراج وغيره من الدواوين فى أيدى الموظفين من أبناء البلد إلى أن تم تعريبها سنة ٧٥ هـ فى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦ هـ) ولاسيما ديوان الخراج والمال لأهميته فى حفظ أموال الولاية (٦) .

---

(١) أحمد مختار عمر ، تاريخ اللغة العربية فى مصر والمغرب الأدنى ، عالم الكتب ، القاهرة (١٩٩٢م) ، ص ٥٦ .

(٢) جروهمان ، أوراق البردى العربية (مرجع سابق) ، السفر الرابع (١٩٦٧م) ، ص ص ٣٤ : ٣٧ ، ٤٢ : ٤٣ .

(٣) سيدة كاشف ، مصر فى عصر الولاة (مرجع سابق) ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٤) أحمد مختار عمر ، المرجع السابق ،ص ٣٧ / حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ، النهضة المصرية ، القاهرة (١٩٧٦م) ، جـ٢ (العصر العباسى الأول) ، ص ١٩٩ ، ٢٠٠ .

(٥) سيدة كاشف ، المرجع السابق ، ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٦) ابن العبرى ، تاريخ مختصر الدول ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، ط١ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت (١٨٩٠م) ص ٢٠١.

أما عن النقود والأموال الإسلامية (السكة) فكانت العملة هى الدنانير الذهبية الرومية وأقسامها إلى جانب الدراهم الفضية الفارسية كنقود مساعدة حتى قام الخليفة عبد الملك بن مروان بسك العملة العربية ، فضرب الدينار بها سنة ٧٤ هـ ، ثم الدرهم سنة ٧٥ هـ (١) .

لقد كان تعريب السكة من أكبر مظاهر السيادة العربية حيث حرمت العملات الرومية والفارسية من التداول بعد أن طبعوا على عملاتهم عبارات تسيىء للإسلام ، كما دفعت بعمال السكة العربية إلى تعلم اللغة العربية لسك العبارات الاسلامية (٢) .

جـ - النظـــام الحـــربى :

١ - الجيش :

كان الجيش فى مصر فى عهد الولاة من العرب ولم يكن به أى من المصريين ، وقد كان للجند فى مصر ديوان لأعطياتهم وأرزاقهم يسمى ديوان الجند تدون فيه أسماؤهم وأسرهم وذلك طبقا لقبائلهم (٣) .

وكان يوجد أيضا نظام الضيافة حيث يخرج الجنود إلى الريف للرياضة والصيد وتدريب الخيول فينزلون فى ضيافة أهل القرى القبطية وكانت كل أسرة تستضيفهم لثلاثة أيام (٤) .

٢ - البحـــــرية :

لقد اشتهرت مصر من قديم عصورها بصناعة السفن وكان لها أساطيل ولكن العرب لم يكونوا أهل بحر فلم يهتموا بالبحرية ، خاصة لإتمام فتوح المغرب ومحاربة الروم (٥) .

---

(١) محمد ضياء الدين الريس ، الخراج والنظم المالية فى الدولة الاسلامية ، ط٤ ، دار الأنصار ، القاهرة (١٩٧٧م) ، ص ١٤٨ ، ٣٠٩ / الماوردى ، الأحكام السلطانية (مصدر سابق) ، ص ١٧٥ .

(٢) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة (مصدر سابق) ، جـ١ ص ١٧٦ ، ١٧٧ / السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محيى الدين ، ط١ ، دار القلم ، بيروت (١٩٨٦م) ، ص ٣٤٦ .

(٣) ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب (مصدر سابق) ، ص ٢١٧ / سيدة كاشف ، مصر فى عصر الولاة (مرجع سابق) ، ص ٤٩ ، ١٣٥ .

(٤) أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة (مصدر سابق) ، جـ١ ، ص ص ٧٣ ، ٧٤ .

(٥) سيدة كاشف ، المرجع السابق ، ص ٥٤ .

وكان المصريون نعم العون فى خدمة البحرية العربية فكان منهم الملاحون والعمال والبناة للسفن قاموا بإنشاء السفن والشوانى حتى أصبح لمصر أسطولا بحريا فى فترة الحكم العربى ذلك الذى استخدم سنة ٣٤ هـ فى صد غزو الروم للاسكندرية ، وقد بدأ صرف رواتب لغزاة البحر أو جنود البحرية كسائر الجند وذلك فى سنة ٢٣٨ هـ فى عهد عتبة بن إسحاق والى المتوكل على الله على مصر (١) .

٣ - ديـــوان الجنـــد :

لقد كان ديوان الجند هو الديوان العربى الخالص فى مصر الاسلامية حتى نهاية الدولة الأموية ، حيث بدأت عناصر تركية وفارسية تدخله لما استكثر المعتصم منهم بل وأمر واليه على مصر " كيدر نصر بن عبد الله " سنة ٢١٨ هـ بإسقاط العرب من الديوان فانتشروا فى أنحاء مصر وامتهنوا الزراعة والتجارة والصنائع واختلطوا بأهل البلاد .

د - النظـــــام القضـــــائى :

قام فى مصر الاسلامية نظام قضائى يهدف إلى تطبيق أحكام الشريعة للفصل بين المسلمين فى أقضيتهم ، وكان الخليفة عمر بن الخطاب أول من عين القضاة فى الأمصار الاسلامية وكان القضاة يحكمون وفق اجتاهداتهم أو وفقا لمذاهبهم الفقهية وغالبا ما كان القضاة من كبار العلماء والفقهاء وكانت لهم حلقات ودروس فى المساجد ، كما كان منهم من يقض بين أهل الذمة وكان أحيانا ما يقوم القاضى بمصر بالإشراف على بيت المال ، وكان للقاضى رزق من بيت المال ، وقد استحدث أحد القضاة وهو " عبد الرحمن العمرة" تابوتا ببيت المال لجمع أموال اليتامى وكذا من ليس لهم ورثة كأمانات تحفظ لمستحقيها ويتولى القاضى بنفسه الإشراف عليه ، وكان القضاة يخرجون بأنفسهم لرؤية هلال شهر رمضان وكان أهم ما يميز القضاة فى عصر الولاة هو غزارة علمهم خاصة فى مجال الفقه والتشريع مما أسهم فى ازدهار الحركة الفكرية فى مصر فى عصر الولاة (٢) .

---

(١) المقريزى ، الخطط (مصدر سابق) ، جـ٣ ص ٦ / اليعقوبى ، البلدان (مصدر سابق) ، ص ٣٣٨ / مصطفى بدر ، مصر الاسلامية ، النهضة المصرية ، القاهرة (١٩٥٤م) ، جـ١ (من الفتح الاسلامى) ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) الكندى ، الولاة والقضاة (مصدر سابق) ، ص ٣٠٠ ، ٣١٤ ، ٣١٧ ، ٣٤٨ / ابن عرنوس ، تاريخ القضاء فى الاسلام ، مكتبة الكليات الأزهرية (ب . ت) ، ص ١١٨ .

Lane- Pool, A History of Egypt (op. cit), p 39 .

ثالثا : عوامل انتشار الاسلام واللغة العربية :

كان للفتوحات العربية أثر ملحوظ فى سرعة انتشار كلا من الدين الاسلامى واللغة العربية فى الأقاليم المفتوحة تلك التى أصبح الاسلام هو دينها الرسمى والتى منها مصر ، وقد تضافرت عدة عوامل فى انتشار الاسلام والثقافة العربية فى مصر فى عصر الولاة تلك التى حولت غالبية السكان الى الدين الاسلامى وأن تصبح اللغة العربية هى اللغة السائدة وأهم هذه العوامل هى :

أ – العوامل السياسية والادارية .

ب – العوامل المالية والاقتصادية .

جـ – العوامل الاجتماعية .

د – العوامل الدينية والثقافية " طبيعة النهضة العلمية فى الفسطاط "

أ – العوامل السياسية والإدارية :

تتلخص مجموعة العوامل السياسية والادارية التى ساهمت فى انتشار الاسلام واللغة العربية فى مصر فيما يلى :

١ – الإستعانة بأهل مصر فى الأعمال .

٢ – إبقاء العرب على النظم الإدارية الموجودة بالبلاد وترك شئون إدارتها للمصريين.

٣ – العدالة والمساواة مع أهل البلاد وحسن معاملة العرب لهم .

٤ – تعريب الدواوين ودور الطرز .

١– الاستعانة بأهل مصر فى الأعمال :

بدأ العرب فى إرساء قواعد الحكم برسم وتحديد العلاقات بينهم وبين أقباط مصر وظهر تحديد العلاقات وتقسيم الأعمال بين العرب والقبط فنهى عمرو العرب عن الزرع والحرف وترك ذلك للقبط حتى يتفرغ العرب للقتال فقد كانت أرزاقهم مضمونة ولم يكن ذلك تعاليا من العرب على أهل البلاد وإنما تنظيما للمهام [١] .

---

(١) ابن إياس ، بدائع الزهور (مصدر سابق) ، جـ١ القسم الأول ، ص ١٠٢ / ابن عبد الحكم ، فتوح مصر والمغرب (مصدر سابق) ، ص ٢١٧ .

لقد استخدم العرب العمالة المصرية فى شئون الزراعة والرى والبناء وإصلاح الطرق حتى أن عمرو قد استخدم نحو مائة ألف عامل قبطى فى إصلاح طرق الرى فى مصر (١) .

لقد كان لزاما على المصريين أن يجدوا وسيلة للتفاهم مع الحكام الجدد وخاصة عند عرض المطالب الخاصة بهم والشكاوى ، لذا كان تعلم العربية هو الوسيلة الأولى لإجراء هذا التفاهم (٢) .

إلا أن انتشار الاسلام والعربية فى مصر من البداية كان محدودا لقلة الاختلاط بين العرب وبين أهل البلاد ، فضلا عن قلة عدد العرب فى البلاد فى الفترات الأولى (٣) .

٢ - إبقاء العرب على النظم السابقة وترك شئون إدارتها للمصريين :

وجد العرب أن مصر بلد ذات نظام إدارى جيد ، لذا فقد اضطروا للإبقاء على تلك النظم فى الحكم والإدارة كما هى عليه حتى لايتم الإخلال بالأمور فيها إلى أن تكون لديهم المعرفة الكاملة بها (٤) .

ولكى تتحقق العدالة بالبلاد فقد عمل العرب على إحلال القبط محل الروم فى الوظائف حتى أوشك عمال الدولة جميعا أن يكونوا من القبط أبناء البلاد (٥) .

وأصبح للقبط نصيبا كبيرا فى إدارة أمور بلادهم لم يحظوا به من قبل وقد ارتقى بعضهم أكبر المناصب كالكتاب وكرؤساء الكور حتى أن والى الصعيد فى عهد عبد العزيز بن مروان كان قبطيا ، وكان جميع الأطباء المتميزين فى العهد العباسى الأول من الأقباط (٦) .

لقد كانت الرغبة فى البقاء فى المنصب والعمل تعد من أهم الأسباب التى شجعت المصرى على تعلم اللغة العربية وذلك بعد أن قرر الخليفة عبد الملك بن مروان بتعريب

---

(١) العبادى وآخرون ، الدولة الاسلامية تاريخها وحضارتها ، دار نهضة مصر، القاهرة (ب . ت) ص ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) سعيد عاشور ، بحوث فى تاريخ الاسلام وحضارته (مرجع سابق) ، ص ١٤٧ .

(٣) سيدة كاشف ، مصر فى عصر الولاة (مرجع سابق) ، ص ١٣٥ .

(٤) سعيد عاشور ، المرجع السابق ، ص ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٥) محمود اسماعيل ، سوسيولوجيا الفكر الاسلامى (مرجع سابق) ، جـ١ ص ١٥٦ ، ١٥٧ / بتلر ، فتح العرب لمصر (مرجع سابق) ، ص ٣٩ .

(٦) سيدة كاشف ، المرجع السابق ، ص ص ١١٣ : ١١٩ / العبادى وآخرون ، المرجع السابق ، ص ٣٤ ، ٣٥ .

الدواوين ودخل الكثير منهم أيضا الإسلام بعد أن أصدر الخليفة عمر بن عبد العزيز قرارا بألا يلى غير المسلمين أمرا (١) .

٣ - العدالة والمساواة مع أهل البلاد وحسن معاملة العرب لهم :

عاش المصريون حياة آمنة فى ظل الحكم العربى حتى أن كثيرا من المستشرقين أشاروا إلى روح التسامح التى سادت العلاقات والتى اختلفت تماما عما كان عليه الحال فى العهد البيزنطى (٢) .

واتسم الحكم الاسلامى بالعدالة والرحمة حتى أن عمرو بن العاص أجاب عثمان بن عفان حينما عرض به لقلة خراج مصر " أدررتم بولدها " (٣) .

وكان من يسلم من القبط يعامل معاملة العرب له مالهم وعليه ماعليهم (٤) .

ولقد تحبب الخليفة المأمون إلى المصريين ولم يعاقبهم عندما نزل مصر لإخماد الثورة التى قامت بها (٥) .

كما أبقى العرب على العادة القديمة بألا يجبى الخراج إلا بعد فيضان النيل وتمام الزروع وأن يكون الخراج لكل قرية حسب وقت نضج ثمارها وحسب قدرتها (٦) .

لقد اتسمت طبيعة معاملة العرب للقبط فى أغلبها بالسماحة والعدل بما يتفق مع روح رسالتهم وتجلت تلك السماحة فى أعظم صورها من التسامح الدينى الذى حظى به الأقباط فى عصر حكم الولاة المسلمين ، فقد حظى اليعاقبة من مسيحى مصر بمكانة كبيرة فى العالم الاسلامى حيث احتفظوا بعقيدتهم ولم يكرهوا على تركها بل وسمح العرب لأقباط مصر بإصلاح ماتلف من كنائسهم وترك حرية اختيار بطاركتهم فضلا عن السماح لهم ببناء كنائس جديدة حتى فى مدينة الفسطاط نفسها التى كانت عاصمة الدولة الاسلامية بمصر فضلا عن المشاركة للقبط فى احتفالاتهم الدينية من جانب العرب والسماح بعرض قضاياهم ومنازعاتهم

---

(١) مصطفى بدر ، مصر الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ص ٩٥ ، ٩٦ / أحمد مختار ، تاريخ اللغة العربية فى مصر (مرجع سابق) ، ص ٦٦ .

(٢) محمود اسماعيل ، سوسيولوجيا الفكر الاسلامى (مرجع سابق) ، جـ١ ص ١٥٦ ، ١٥٧ / المناوى ، مصر فى ظل الاسلام (مرجع سابق) ، جـ١ ، ص ٢٢ .

(٣) ابن حوقل ، صورة الأرض (مصدر سابق) ، ص ٣٥ / حسين فوزى ، سندباد مصرى (مرجع سابق) ، ص ١٤١ .

(٤) ابن عبد الحكم ، سيرة عمر بن عبد العزيز ط٢ ، مكتبة وهبة ، القاهرة (١٩٥٤م) ، ص ٧٨ ، ٩٧ .

(٥) ابن إياس ، بدائع الزهور ، (مصدر سابق) ، جـ١ م١ ، ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

(٦) ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

فى جامع الفسطاط كالمسلمين وقد خصص لهم القضاة أياما وطبقت عليهم الشريعة كالمسلمين (١) .

٤ – تعريب الدواوين ودور الطرز :

بعد تعريب الدواوين أصبحت اللغة العربية الرسمية فى الدولة الاسلامية وإن كان الفتح العربى قد ساعد على أن تحل القبطية محل اليونانية فى البلاد وخاصة حين ترك العرب فى البداية الأمور بأيدى القبط (٢) .

ومع نمو الخبرات العربية والحاجة ظهر الكتاب والحساب العرب المهرة وازدادت الخبرة بفنون الكتابة العربية استطاع العرب تعريب الدواوين (٣) .

ولم يتم نقل ديوان مصر إلى العربية إلا سنة ٨٧ هـ فترة إمارة عبد الله بن عبد الملك من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك وجعل على الديوان " ابن يربوع الغزارى " بدلا من "إنتاش القبطى " وقد أدى ذلك إلى نقل واستعمال الكثير من المصطلحات اليونانية والقبطية الى اللغة العربية ، وبذلك أصبح للعرب على مصر السيادة اللغوية أيضا بجانب السياسية ، وهكذا أخذت اللغة العربية تنتشر فى جميع المدن والقرى المصرية لسيادتها فى المجال الادارى (٤) .

وكان أول ديوان تم تعريبه هو "ديوان الخراج " الذى كان بيد القبط وقد حل محلهم كتاب من المسلمين وذلك خوفا من حدوث التلاعب ورغبة فى نشر اللغة العربية فى دواوين الدولة (٥) .

واتبع ذلك ظهور طبقة من كتاب العرب المسلمين المهرة الذين تمكنوا من إتقان العمل فى الدواوين ولاسيما ديوان المال وذلك بعد اكتسابهم الخبرة من الاختلاط بالكتاب من غير

---

(١) فريد شافعى ، العمارة الاسلامية (مرجع سابق) ، جـ١ ص ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، / الراقعى وسعيد عاشور ، مصر فى العصور الوسطى (مرجع سابق) ، ص ص ٦٤ : ٦٦ / الخربوطلى ، الاسلام وأهل الذمة (مرجع سابق) ، ص ص ١٦٠ : ١٦٥ .

(٢) سعد السباعى وسعيد محمد أحمد ، تاريخ مصر الاسلامية وحضارتها ، دار الاخلاص ، القاهرة (١٩٨٤م) ، ص ١٤٥ / بارتولد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ، دار المعارف ، القاهرة (١٩٥٨م) ص ٦٦ .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة (مصدر سابق) ط٦ دار القلم ، بيروت (١٩٨٦م) ، ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

(٤) ابن العبرى ، تاريخ مختصر الدول (مصدر سابق) ، ص ٢٠١ / ناجى معروف ، أصالة الحضارة العربية (مرجع سابق) ، ص ٤٣٢ / أبو زيد شلبى ، تاريخ الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامى ، ط٣ مكتبة وهبة ، القاهرة (١٩٦٤م) ، ص ١١٣ .

(٥) حسن محمود ، الاسلام والثقافة العربية فى أفريقيا ، النهضة المصرية ، القاهرة (١٩٥٨م) ، جـ١ ، ص ١٠٥ .

العرب وقد أدى ذلك إلى ظهور نهضة قوية فى اللغة والأدب ساعدت بدورها على انتشار العربية والاسلام خاصة بين من أرادوا البقاء فى وظائفهم ومراكزهم من القبط (١) .

وتلى تعريب ديوان الخراج تعريب باقى الدواوين تلك الحركة التى تعد أول حركة ترجمة منظمة وواضحة فى الدول الاسلامية أدت إلى تأكيد السيادة العربية وانطلقت الترجمة بعد ذلك إلى الكتب والمعارف (٢) .

هذا بالاضافة إلى تعريب دور الطرز التى كانت تنتج الأقمشة وقطع النسيج وما شابه ذلك حيث كان يطرز عليها كتابات قبطية تنسب الربوبية للمسيح مخالفة عقيدة الاسلام لذلك أمر الخليفة " عبد الملك بن مروان " أخاه " عبد العزيز " والى مصر بتعريب تلك النقوش وصبغها بالصبغة العربية الاسلامية وتعريب مايدون عليها من عبارات ، وذكر اسم البلد التى صنعت بها ، وقد أصبحت تلك المصانع حكومية تحت إشراف الدولة ، وأصبحت المنسوجات تحمل عبارات دعائية للخليفة (كما عربت أيضا مصانع ورق البردى) وتم إلغاء العبارات المسيحية من على القراطيس وأبدلت بعبارة " قل هو الله أحد " (٣) .

والملاحظ أن تعريب الدولة المصرية لم يتم بسرعة فى البداية بل ظلت العربية والقبطية تستخدمان معا فى البلاد حتى عهد الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ) حيث ظهر ذلك على البرديات والطرز وذلك حتى يسهل على أهل البلاد فهم العربية ، حيث لم تبدأ الكتابات العربية المستقلة إلا منذ عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥ هـ) فى عهد عامله على الخراج " القاسم بن عبيد الله بن الحبحاب " (١١٦ - ١٢٤ هـ) حين بدأت الكتابة العربية الواضحة دون عبارات قبطية أو يونانية (٤) .

وهكذا لعبت العوامل السياسية والإدارية دورها فى نشر الاسلام واللغة العربية فى مصر بصفة خاصة بالإضافة إلى العوامل الأخرى التى سيرد ذكرها .

ب - **العوامل المالية والاقتصادية :**

---

(١) السيد محمد يونس ، الحضارة الاسلامية فى مصر فى العهد الأموى ، (٣٨ - ١٣٢ هـ) دكتوراه . ج الأزهر (١٩٨٨م) ص ٣٠١ ، ٣٠٢ .

(٢) حسن محمود ، الاسلام والثقافة العربية (مرجع سابق) ، ص ١٠٥ .

(٣) السيد محمد يونس ، المرجع السابق ، ص ٣٠٥ / حسن محمود ، المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

(٤) جروهمان ، أوراق البردى العربية (مرجع سابق) ، السفر الأول (١٩٣٤م) ، ص ص ١١ : ٦١ .

كانت دائما السياسات المالية والاقتصادية المتعسفة من جانب الحكام سواء قبل الفتح أو بعده هى أهم الأسباب التى تؤدى إلى الثورة عند الأقباط وهذا حدا بالخلفاء إلى مراقبة عمالهم وتقصى حالة الولايات خاصة مصر التى حضر اليها المأمون بنفسه لتهدئة ثورتها وإقناع الثائرين بالعودة إلى الزراعة والإنتاج (١) .

وفيما يلى أهم العوامل المالية والاقتصادية التى كانت من الأسباب التى عملت على اعتناق الكثير من القبط للإسلام والعمل على انتشار اللغة العربية ومن أهمها :

١ - الجزية والعطايا والخراج .

٢ - تعريب السكة الاسلامية .

٣ - اهتمام العرب بالبلاد بعكس الحكام السابقين .

وفيما يلى عرض لكل عامل بمفرده وأثره على انتشار الاسلام واللغة العربية بين القبط فى مصر .

١ - الجزية والعطايا والخراج :

لقد اتسم النظام المالى والاقتصادى الاسلامى بالعدالة حيث كانت قيمة الجزية معقولة وغير مغال فيها ، وقد أعفى من أدائها غير القادرين من الرجال والنساء والأطفال والشيوخ وأيضا رجال الدين ، وقد كان حسن جبايتها من القبط له أكبر الأثر على استتباب الأمن فى البلاد ذلك الذى أدى إلى عدم نفور القبط من العرب الفاتحين ثم التآلف معهم بعد حين (٢) .

إلا أن كثيرا من الأقباط خاصة الفقراء منهم دخلوا الاسلام رغبة فى التخلص من عبء الجزية نهائيا وحاول الكثير الانخراط فى سلك الرهبنة تمتعا بميزة إعفاء الأديرة والرهبان من الجزية إلا أن العمال العرب قد قاموا بإحصائهم وفرض الجزية عليهم دينارا عن كل فرد ، بل وتم فرضها على الرهبان فيما بعد لتعاظم ثروات الأديرة والكنائس (٣) .

---

(١) حسن محمود ، الاسلام والثقافة العربية (مرجع سابق) ، ص ٩٨ ، ٩٩ .

(٢) ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة (مصدر سابق) ، ص ١٢٥ / الرافعى وسعيد عاشور ، مصر فى العصور الوسطى (مرجع سابق) ، ص ص ٦٦ : ٦٩ .

(٣) أحمد مختار ، تاريخ اللغة العربية (مرجع سابق) ، ص ٥٦ / ابن الراهب ، تاريخ ، نشر مطبعة اليسوعيين ، بيروت (١٩٠٣م) ص ١٣٢ .

كذلك دخل الكثير من العبيد ورجال الطبقات العاملة الذين كانوا يعانون من البؤس فى الاسلام ليتمتعوا بالتساوى مع العرب الفاتحين ماديا واجتماعيا وفى الحقوق التى كان منها الحصول على أنصبة من العطايا من بيت المال وتولى وظائف الدولة (١) .

وكان تقدير الخراج أيضا يتم بالعدالة حيث كان يتم الأخذ فى الحسبان ظروف الفلاح والأرض من حيث جودتها وأوقات نضج ثمارها قبل بدء الجباية ، فإنه لما كان الخراج عبئا على الفلاح فكان يلجأ إلى الهرب من الأرض (٢) .

٢ – تعريب السكة الاسلامية :

كان العرب يستعملون عملات الأمم المجاورة البيزنطية والفارسية ولكن الخليفة عبد الملك بن مروان قرر أن يجعل للدولة الاسلامية عملتها الخاصة بها المستقلة عن غيرها بعد أن علم أن بيزنطة كانت تغش فى وزن عملتها الذى يحدد قيمتها فى التعامل ، وأيضا كرد فعل للعبارات على عملاتهم التى تسيء للإسلام قام الخليفة عبد الملك بن مروان بتعريب الدينار سنة ٧٤ هـ والدراهم سنة ٧٥ هـ وهذا أدى إلى ضرورة تعلم العاملين بدور الضرب للغة العربية لسك العبارات الاسلامية المطلوبة وقد كان بمصر قبل الفتح العربى دار لضرب الدنانير وربما يكون الوالى " عبد العزيز بن مروان" قد أنشأ داراً " للسكة فى حلوان " (٣) .

٣ – اهتمام العرب بالبلاد بعكس الحكام السابقين :

اختلف العرب عن سابقيهم فى الاهتمام بمصلحة مصر ، فمنذ بداية الفتح وفى ولاية عمرو الذى اهتم ببناء المقاييس على النيل حتى لايظلم أحد (٤) .

كما عمل العرب على شق الترع وإصلاح نظم الرى بالتطهير والصيانة واهتم العرب ايضا بإحياء الأراضى الموات (٥) .

---

(١) العبادى وآخرون ، الدولة الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ١٣ ، ١٤ / حسن محمود ، الاسلام والثقافة العربية (مرجع سابق) ، ص ٩٩ .

(٢) ابن حوقل ، صورة الأرض (مصدر سابق) ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ / أحمد مختار ، تاريخ اللغة العربية (مرجع سابق)، ص ٥٦ .

(٣) الريس ، الخراج (مرجع سابق) ، ص ١٤٨ ، ٣٠٩/ ابو المحاسن ، النجوم الزاهرة (مصدر سابق) ، جـ١ ص ١٧٦ : ١٧٧ . / ياقوت الحموى ، معجم البلدان (مصدر سابق) ، جـ٢ ص ٢٩٣ .

(٤) ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة (مصدر سابق) ، ص ص ١٧٧ : ١٧٨ .

(٥) جمال حمدان ، شخصية مصر ، عالم الكتب ، القاهرة (١٩٨١م) جـ٢ ص ٩١٢ .

لقد وقف الولاة مع المصريين فى الأزمات حيث قام الوالى عبد الحميد بن المغيرة الغزاوى سنة ١٣١ هـ برهن حلى جواريه لدى التجار مقابل القمح وقام بتوزيعه على فقراء مصر أثناء أزمة الغلاء (١) .

كذلك اهتم العرب بالبناء وتخطيط المدن خاصة مدينة العسكر وجامعها أيضا (٢) .

جـ : **العوامل الاجتماعية :**

تعددت العوامل الاجتماعية التى ساهمت فى إقبال القبط على الدخول فى الاسلام وعلى تعلم العربية ومن أهم تلك العوامل :

١ – الرغبة فى التمثل بالطبقة الحاكمة .

٢ – التجاور والمشاركة الاجتماعية بين العرب والأقباط .

٣ – القبائل العربية ودورها فى نشر الاسلام واللغة العربية .

٤ – الولاة العرب ودورهم فى إدماج العرب فى المجتمع المصرى .

١ – الرغبة فى التمثل بالطبقة الحاكمة :

من العوامل التى كان لها علاقة بالنواحى الاجتماعية إقبال بعض المصريين على اعتناق الاسلام وتعلم اللغة العربية تقربا من الارستقراطية الحاكمة حيث كان هناك دائما من هو مولع بالتقرب والتمثل بأصحاب السلطة الحاكمة ، فالضعيف المهزوم دائما شغوف بمحاكاة وتقليد القوى المنتصر ، ولا يستبعد أن تكون تلك الفئة هى نفسها التى تركت مذهبها اليعقوبى لمذهب الدولة الملكانى أيام الاضطهاد ، هى التى سارعت ايضا باعتناق الاسلام تقربا للدولة الحاكمة وسعيا وراء الامتيازات العربية التى يتمتع بها العرب المسلمون (٣) .

وحين أصبحت اللغة العربية هى لغة الطبقة الحاكمة بعد الفتح العربى الاسلامى غدا من المنطقى أن يقبل المسلمون المصريون على تعلمها (٤) .

---

(١) ابن اياس ، بدائع الزهور (مصدر سابق) ، جـ١ ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٢) فريد شافعى ، العمارة الاسلامية (مرجع سابق) ، جـ١ ص ٣٤٠ ، ٣٤١ / بارتولد ، تاريخ الحضارة الاسلامية (مرجع سابق) ، ص ٦٤ .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة (مصدر سابق) ، ص ٢٣ ، ١٤٧ / سعيد عاشور ، بحوث فى تاريخ الاسلام (مرجع سابق) ، ص

(٤) الخربوطلى ، مصر العربية الاسلامية ، الأنجلو ، القاهرة (١٩٦٣م) ص ٣١ ، ٣٢ .

وكان بعض المصريين رغم ما تمتعوا به من مراكز فى عهد الحكم العربى إلا أنهم كانوا دائما ما يشعرون بأنهم أدنى منزلة من العرب الفاتحين لذلك حرصوا على التمثل بهم فعملوا على تعلم العربية والخول فى الاسلام بل وصل الأمر ببعضهم إلى ادعاء نسب عربى لألقابهم وأسمائهم (١) .

كما كان على المصرى أن يتعلم لغة الحاكم الغالب حتى يتمكن من مخاطبته بلسانه إن أراد أن يرفع إليه مظلمة أو يطلب منه طلبا أو يقضى له حاجة وأيضا تقربا من العرب الحاكمين (٢) .

٢ – التجاور والمشاركة الاجتماعية بين العرب والقبط :

بدأ انجذاب الأقباط للعرب مع الفتح نفسه حيث استرعت صفات العرب وأخلاقياتهم انتباه القبط وذلك لاختلافهم كغزاة عن الرومان حيث أعجبتهم بساطتهم وتواضعهم والمساواة بينهم فلا فرق بين أميرهم ووضيعهم (٣) .

لقد سمح العرب للقبط بمجاورتهم فى مدينتهم الفسطاط وأن يبنوا كنائس بجوار المساجد (٤).

لقد سمح العرب للقبط بحضور الدروس ومجالس العلم ، وكان أبناء هؤلاء وهؤلاء يتعلمون فى الكتاتيب الاسلامية جنبا إلى جنب ، كما سمح لهم بعرض قضاياهم على القضاة المسلمين فى المسجد الجامع مما قوى التقارب بين العرب والأقباط ، فشعر الأقباط بالتساوى مع العرب فى ظل الدين الجديد الذى شكل خُلق هؤلاء الفاتحين فسعوا إلى التعرف على الاسلام والاقبال على تعلم العربية (٥) .

لقد تشارك الفريقان فى المناسبات الاجتماعية والدينية ن وقد عمل العرب على ابطال بعض عادات القبط الخاطئة وخاصة إلقاء فتاة حية فى النيل كعادة الفراعنة ذلك الذى رفضه عمرو بن العاص وقام بإبطاله (٦) .

---

(١) الكندى ، الولاة والقضاة (مصدر سابق) ، ص ٣٩٧ ./ محمد المنياوى ، مصر فى ظل الاسلام (مرجع سابق) ، جـ١ ، ص ٣١ .

(٢) سعيد عاشور، بحوث فى تاريخ الاسلام وحضارته (مرجع سابق)، ص ١٣٦ / ابن خلدون المقدمة (مصدر سابق)، ص ٩٧

(٣) ابن اياس ، بدائع الزهور (مصدر سابق)، جـ١ م١ ص ٩٦/ ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب (مصدر سابق)، ص ٩٧ .

(٤) المقريزى، الخطط (مصدر سابق)، جـ١ ص ١٤٢/ الخربوطلى، الاسلام وأهل الذمة (مرجع سابق)، ص ص ١٦٦: ١٦٨ .

(٥) الرافعى ، مصر فى العصور الوسطى (مرجع سابق) ، ص ٦٤ : ٦٦ / سيدة كاشف ، مصر فى عصر الولاة (مرجع سابق) ، ص ١١٧ .

(٦) الاسحاقى ، أخبار الأول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول، دار الكتب، القاهرة (١٩٢٧م) ص ٣١، ٣٢ .

لقد ساعد ذلك التجاور والمشاركة على تعريب القبط إلا أنها فى نفس الوقت قد مصرت العرب وجعلتهم مصريين فى كثير من جوانب الحياة [١] .

٣ – دور القبائل العربية فى نشر الإسلام واللغة العربية :

– **العلاقة بين العرب والمصريين قبل الإسلام والفتح** : بدأت العلاقة بين العرب وأقباط مصر قبل ظهور الاسلام بفترات طويلة ، بل ولم تكن اللغة العربية كذلك غريبة عن أهل مصر حتى قبل دخول المسيحية نفسها إلى مصر فقد كانت الوفود والقبائل العربية تقصد مصر إما للتجارة أو للاستقرار بها ، وكانت مدينة غزة ميناء تجاريا هاما ومركزا للقاء التجار ، وقد نمت العلاقات التجارية بينهما حتى قبيل الفتح الإسلامى وهذا ما يعلل عدم مقاومة المصريين للعرب وتقبلهم لهم وذلك لإحساسهم بعدم غربة العنصر العربى عنهم الذى تاجر معهم وعاش بينهم قرون طويلة (٢) .

ومن الثابت تاريخيا أيضا أن عمرو بن العاص قد زار مصر قبل الفتح الإسلامى كتاجر وزار الدلتا والاسكندرية ، كما شارك فى حفل سنوى خاص بأبناء الطبقات العليا بالبلاد(٣) .

لقد عرف العرب أيضا مصر من القرآن الكريم بتاريخها عن الأنبياء الذين جاءوها وعن ملوكها والفرعنة (٤) .

أيضا قام الرسول (صلى الله عليه وسلم) بمراسلة المقوقس (عظيم القبط) يدعوه إلى الإسلام ورد المقوقس برد حسن (٥) .

– القبائل العربية بعد الفتح : بدأ دخول العرب البلاد بشكل موسع مع الفتح العربى لمصر فى جيش عمرو الذى ضم ممثلين من معظم قبائل العرب ولقد امتاز العرب عن غيرهم من الغزاة لمصر بالاندماج الكامل بالمصريين ، وإن لم يتم دفعة واحدة – مما كان له أكبر الأثر فى نشر العربية والدين الإسلامى اللذان سادا حتى الآن وقد كان العرب فى البداية أقلية بالنسبة لأهل

---

(١) شوقى ضيف ، عصر الدول والإمارات (مصر) ، دار المعارف ، القاهرة (١٩٩٠م) ، ص ١٦٤ .

(٢) أحمد مختار عمر ، تاريخ اللغة العربية (مرجع سابق) ، ص ١٩ / جمال حمدان ، شخصية مصر (مرجع سابق) ، جـ٢ ص ٢٩٥ : ٢٩٨ .

(٣) الكندى ، الولاة (مصدر سابق) ، ص ٦ : / المقريزى ، الخطط (مصدر سابق) ، جـ١ ص ١٥٨ .

(٤) عبد الرازق حميدة ، الأدب العربى فى مصر من الفتح إلى الفاطميين ، الأنجلو ، القاهرة (١٩٥١م) ص ٢ .

(٥) القلقشندى ، صبح الأعشى (مصدر سابق) ، جـ٢ ، ص ٤٦٧ / عبد الرازق حميدة ، المرجع السابق ، ص ٣ .

البلاد فاختط لهم عمرو مدينة الفسطاط وأنزلهم بها بحسب قبائلهم والتى استقر جزء منهم بالفسطاط والجيزة وذهب جزء آخر لتأمين الاسكندرية (١) .

وبعد استقرار الفتح العربى أخذت تتوالى الهجرات على مصر وباعداد متزايدة ، وكل موجة كانت أكبر من جيش الفتح نفسه ، وقد كان أغلب الولاة الذين أتو إلى مصر فى عصر الولاة يصطحبون معهم جيوشا عربية وذلك حتى نهاية العهد الأموى ، وكان هؤلاء الجند يصطحبون معهم أيضا أسرهم (٢) .

وكانت كل قبيلة تعد وحدة مستقلة ، وقد رابط العرب فى الثغور للدفاع عن مصر وقد استوطن مصر حوالى (٢٤٤) قبيلة أكثرها قحطان ، وكانوا يتزايدون مع تغير الولاة حيث يستقدم كل وال جديد أفراد قبيلته معه (٣) .

وقد كان على الجنود المرابطين ألا يختلطوا بأهل البلاد إلا بصلات الود والجوار حيث كانت تصرف لهم أعطياتهم من ديوان الجند حتى لايضطرون للعمل ويتفرغون للرباط (٤) .

وكان أول اندماج للعرب مع المصريين فى خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٠ - ١٢٥) وذلك حين استأذنه عامل الخراج فى مصر عبيد الله بن الحبحاب بأن ينقل إلى مصر بيوتا من قيس أو عرب الشمال فأذن له ، فاستقدم نحو ثلاثة آلاف منهم وأنزلهم ببلبيس وأمرهم بالزراعة وذلك لأول مرة وصرف لهم من صدقة العشور لشراء الإبل والخيول وأخذ باقى قومه فى الوفود إلى مصر ، وفى وفاته كان ببلبيس نحواً من أربعين أسرة عربية خدموا الجيش واشتغلوا بالتجارة بين مصر والشام ، ومصر والمغرب (٥) .

ومن هذا التاريخ بدأ العرب فى التخلى عن العزلة واتجهوا إلى الاختلاط بالمصريين ، وهكذا كان الاشتغال بالزراعة أولى خطوات الاندماج الحقيقى بأهل البلاد والذى نتج عنه

---

(١) المقريزى ، البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، القاهرة (١٩١٦م) ، ص ص ٢١ : ٣٧ .

(٢) ابن حوقل ، صورة الأرض (مصدر سابق) ، ص ١٤٦ / محمد كامل حسين ، الحياة الفكرية والأدبية بمصر من الفتح العربى حتى آخر الدولة الفاطمية ، النهضة المصرية ، القاهرة (١٩٥٩م) ، ص ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) البرى ، القبائل العربية فى مصر (مرجع سابق) ، ص ٢٧٥ .

(٤) حسن محمود ، الاسلام والثقافة العربية (مرجع سابق) ، ص ١٠٢ / مصطفى بدر، مصر الاسلامية (مرجع سابق) ، جـ١ ص ٦١ .

(٥) المقريزى ، المصدر السابق ، ص ٤٨ / عبد الرازق حميدة ، الأدب العربى (مرجع سابق) ، ص ٩ ، ١٠ .

الامتزاج بين الثقافتين المصرية والعربية مما كان له أثره فى نشر الاسلام واللغة العربية بمصر(١) .

وتابع هذه الهجرة عدة موجات إلى مصر وهذا ساهم كثيراً فى إخماد ثورة القبط ١٠٧هـ حيث أصبح العرب عنصر توازن فى المنطقة وخاصة فى أرض مصر (٢) .

ولأن منازل تلك القبائل كانت مناطق يقطنها أيضا القبط فقد أدى هذا الاحتكاك إلى نشر اللغة العربية بين القبط والإسلام حيث عمل العرب بالتجارة مع القبط وبالزراعة (٣) .

وكان لتلك القبائل أثر كبير فى سرعة إندماج العرب بالمصريين حيث انتشرت فى الوجهين القبلى والبحرى وشاركوا أهل البلاد فى الحروب وفى المهن وتزوجوا من المصريين وهذا أوجد جيلا من المولدين الجامعين للصفات المصرية والعربية معا وهكذا أنشأ جيل مسلم وانتشر الإسلام بين زوجات العرب من المصريات وذويهم بدرجة كبيرة وانضم الكثير من المصريين بذلك إلى جيش العرب لفتح المغرب (٤) .

لقد ساعد كل ذلك على سرعة تعريب مصر حتى إذا حل القرن الثالث الهجرى كان قد تم تعريب القبط جميعا وحتى رهبانهم أيضا (٥) .

٤ – الولاة العرب ودورهم فى اندماج العرب بالمجتمع المصرى :

كان للنظام السياسى أثر كبير فى إدماج العرب بالمصريين والذى بدأ مع الفتح حين وضع عمرو بن العاص نظاما لجنوده أطلق عليه اسم الاستضافة أو الارتباع ، فقد كان على الجنود العرب أن يخرجوا فى ربيع كل عام إلى الريف ، فكانت القبائل العربية المثبتة بديوان العطاء والجند تخرج إلى ريف مصر للرياضة والصيد وتدريب الخيول ورعايتها ومانت الجنود تنزل فى ضيافة أهل القرى القبطية بريف مصر (٦) .

---

(١) المقريزى، الخطط (مصدر سابق) جـ٢ ص ٢٦١ / سيدة كاشف، مصر فى عصر الولاة (مرجع سابق)، ص١٣٦

(٢) ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة (مصدر سابق)، ص ١٢٨ ، ١٢٩ / المقريزى ، المصدر السابق ، جـ١، ص ١٤٧

(٣) سيدة كاشف ، مصر فى فجر الاسلام (من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية) ، ط٣ ، دار الرائد العربى ، بيروت (١٩٨٧م) ، ص ٢٤٦ / أحمد فؤاد سيد ، الدعوة الاسلامية بمصر إلى نهاية عصر الولاة ، دكتوراه ، ج القاهرة (١٩٩١م) ص ص ٦٤٠ : ٦٤٢ .

(٤) المقريزى ، المصدر السابق ، جـ١ ص ١٠٥ .

(٥) لين بول ، سيرة القاهرة ترجمة حسن ابراهيم حسن ، النهضة المصرية ، القاهرة (١٩٥٠م) ، ص ٧١ / جمال حمدان ، شخصية مصر (مرجع سابق) ، جـ٢ ص ٣٠٦ .

(٦) ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة (مصدر سابق) ، جـ١ ص ٧٣ ، ٧٤ .

وكانت كل قبيلة عربية تختار منطقة خاصة لقضاء الربيع بها وكانت تغطى تقريبا أنحاء البلاد(١)

وكان عمرو بن العاص يشرف بنفسه على هذا الخروج وحرص على توصيتهم دائما بالاهتمام بالتدريب وحسن التعامل مع القبط بالإضافة إلى تحديد توقيتات عودتهم مما أحدث التقارب مع أهل البلاد (٢) .

إن الاختلاط أتاح للطرفين فرصة تبادل اللغات والعادات فأقبل المصريون على تعلم اللغة العربية للتفاهم مع العرب ممثلى العنصر الحاكم للبلاد ن وأدت طول فترة الارتباع التى كانت تمتد أحياناً إلى ثلاثة أشهر كاملة إلى زيادة فرص الاتصال بين العرب وبين المصريين(٣) .

وبعد إسقاط العرب فى مصر من الديوان فى خلافة المعتصم واضطرارهم إلى الانتشار فى مصر طلبا للقوت فنزلوا الأرياف واستوطنوها واتخذوا الزراعة حرفة كأهل البلاد واختلطت أنسابهم بالمصريين فصار العربى بعد أن كان حريصا على تميزه والإبقاء والتفخر بالنسب القبلى ، ينتسب إلى البلدة أو الإقليم المصرى الذى يقطنه بدلاً من اسم قبيلته ، وهكذا تم تعريب مصر ثقافياً بواسطة العرب وكذا تمصير العرب جنسيةً فتحول تعريب المصريين إلى تمصير العرب (٤) .

وهكذا أدت العوامل الاجتماعية بالإضافة إلى ما سبقها من عوامل إلى المساعدة على نشر الإسلام واللغة العربية وإلى انصهار العرب والمصريين فى بوتقة واحدة إلى الآن .

د – العوامل الدينية :

كان للفتوح العربية أثر كبير فى نشر الإسلام واللغة فى الأقطار المفتوحة ، وقد دخل الإسلام مصر مصاحبا للفتح العربى لها وقد أسلم عدد من المصريين حتى قبل إتمام الفتح النهائى الكلى لمصر وقد كانوا نعم العون للعرب فى فتوحاتهم فى مصر وإفريقيا ، ومما لاشك

---

(١) محمد كامل حسين ، الحياة الفكرية (مرجع سابق)، ص ٢٧ / البرى ، القبائل العربية (مرجع سابق) ، ص ٢٨٥.

(٢) السيوطى ، حسن المحاضرة (مصدر سابق) ، جـ١ ، ص ٦٧ / مصطفى بدر ، مصر الاسلامية (مرجع سابق) ، جـ١ ص ٦١ .

(٣) صفى على محمد ، الحركة الأدبية ، العلمية فى الفسطاط منذ الفتح العربى إلى نهاية الدولة الإخشيدية ، ماجستير، ج عين شمس (١٩٧٨م) ، ص ٦٨ .

(٤) المقريزى ، الخطط (مصدر سابق) ، جـ١ ص ٨٢ / سيدة كاشف ، مصر فى فجر الاسلام (مرجع سابق) ، ص ٢٢٩ . / الخربوطلى ، الإسلام وأهل الذمة (مرجع سابق) ، ص ١٦٧ .

فيه أن بعضهم قد أسلم رغبة فى التمثل والتقرب من الفاتحين الجدد ، إلا أنه لايمنع أن يكون بعضهم قد أسلم عن اقتناع بهذا الدين الجديد (١) .

ولعل من أهم أسباب انتشار الإسلام فى مصر وخاصة فى السنوات الأولى للحكم العربى كان راجعا للحرية الدينية التى نعم بها أهل مصر من قبل الحكام العرب فى ممارسة شعائرهم وبناء الكنائس والأديرة والرجوع إلى رجال الدين فيما يعترضهم من مشاكل دون أن يتعرض لهم أى من العرب سواء كان الوالى أو أحد تابعيه (٢) .

ولم يكن المسيحيون وحدهم من نعم بالحرية الدينية فى ظل الحكم العربى بل حظى بها اليهود كذلك ، وكذا المسيحيون ممن خالفوا المذهب القبطى المصرى قد تمتعوا بنفس الحرية الدينية (٣) .

لقد كانت العقيدة الاسلامية تحتوى داخلها على عوامل انتشارها ، وهى المبادىء السامية التى نادى بها الإسلام ، فمن المعلوم أن انتشار الإيمان بعقيدة ما لايكون بالعنف واستعمال السيف ، وإنما بالرفق واللين ، فقد دعا الاسلام إلى أسمى القيم الروحية والعقلية والاجتماعية والانسانية ، وكل ذلك ظهر فى عقيدته السهلة البسيطة الموافقة للفطرة الإنسانية السليمة وببساطة ويسر العبادات والشعائر التى يمارسها المؤمنون به (٤) .

لقد أبرز الإسلام أيضا دور العقل الإنسانى وعمل على ارتقائه وجعل من العلم وسيلة للتفكير والمعرفة ذلك الذى ساعد العرب المسلمين فى القضاء على الوثنية فى جميع الأقطار التى فتحوها (٥) .

لقد حث الاسلام على الترابط بين الناس برباط الأخوة ونبذ الصلات القبلية والعنصرية، وجعل الأسرة هى أساس المجتمع ودعا إلى حسن التعامل والحفاظ على الحقوق والعمل المستمر لنشر الأمن والأمان فى ربوع الدولة الاسلامية (٦) .

---

(١) سيدة كاشف ، مصر فى عصر الولاة (مرجع سابق) ، ص ١٠٧ .

(٢) Arnold, (T. W, B. A) A History of the Preaching of Islam (op.cit), p 89,90.

(٣) الخربوطلى، الاسلام وأهل الذمة (مرجع سابق)، ص ١٦٢ / بتلر ، فتح العرب لمصر (مرجع سابق)، ص ٣٨٨، ٣٩١ .

(٤) شوقى ضيف ، تاريخ الأدب العربى ، دار المعارف ، القاهرة (١٩٦٣م) ، جـ ٢ (العصر الاسلامى) ، ص ص ١١ : ١٥ / حامد عبد القادر ، الاسلام ظهوره وانتشاره فى العالم ، نهضة مصر، القاهرة (١٩٥٦م)، ص ٢٢٤

(٥) لوبون ، حضارة العرب ، مطبعة عيسى البابى الحلبى ، القاهرة (١٩٦٩م) ، ص ١٢٦ / شوقى ضيف ، المرجع السابق ، ص ص ١٦ : ١٨ .

(٦) حامد عبد القادر ، المرجع السابق ، ص ص ٢٢٩ : ٢٣٥ .

وقد ساهمت تلك الطبيعة البسيطة الإسلام فى فشل العقائد الأخرى عن التصدى لانتشاره فى مصر ، حيث اعتنقه الكثير من مسيحى مصر لعدم تعقد عقيدته (١) .

لقد قام العرب أنفسهم بالعمل على نشر الإسلام والثقافة العربية فى مصر وذلك بإقامة المساجد لتكون مركزاً لإقامة الشعائر ونشر الثقافة العربية حيث كان مسجد عمرو بالفسطاط مركزاً دينياً وعلميا ومقراً للصلاة ويعتبر المدرسة الدينية الإسلامية الأولى بمصر لنشر الاسلام عباداته وعلومه ، فضلا عن نشر اللغة والثقافة العربية فاشتهر بحلقاته العلمية والفكرية والأدبية (٢) .

وكان الصحابة الفاتحون الذين قدموا مع عمرو يعتبرون بحق هم مؤسسو مدرسة مصر الدينية حيث قامت النهضة العلمية بها على نشر علوم القرآن والحديث واشتهروا فيها كعبد الله بن عمرو بن العاص المؤسس الأول للمدرسة الدينية بمصر (٣) .

وقد وقع على عاتق هؤلاء الصحابة نشر تعاليم الإسلام ومبادىء القرآن والسنة النبوية، فعملوا على تكوين حياة تعليمية إسلامية فى البلد لنشر الإسلام والثقافة العربية حيث انتشر خؤلاء الصحابة فى أرجاء الفسطاط واختلطوا بالمصريين وبنوا الدور فى كافة الخطط للقبائل وعرفت بأسمائهم كدار الزبير بن العوام ودار عقبة بن عامر الجهنى وغيرهم (٤) .

كما أنشأ هؤلاء الصحابة نوعا من الكتاتيب لتعليم الأطفال وتنشئتهم تنشئة إسلامية سليمة وكان التعليم متاحاً للجميع ، وكذلك المسجد فكان يحضر حلقاتها كل راغب فى الدرس من المسلمين والأقباط سواء مما ساهم فى سرعة نشر الثقافة العربية الاسلامية بين المصريين(٥) .

وقد ساهم كل من الإسلام والقبائل العربية فى نشر اللغة العربية بمصر وتعليمها للمصريين فالمعلوم أن العرب الذين خرجوا من الجزيرة العربية لم يحملوا معهم تعاليم الدين الإسلامىفحسب وإنما حملوا معهم لغتهم ، فصبغوا المناطق المفتوحة بصبغتهم العربية ، فاللغة

---

(١) توماس أرنولد ، الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة حسن ابراهيم حسن ط٢ النهضة المصرية ، القاهرة (١٩٥٧) ، ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٢) المقدس ، أحسن التقاسيم (مرجع سابق)، ص ١٩٩ / ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة (مصدر سابق)، ص ص١٠٣: ١٠٧، وذكر أن كل جامع كان بمثابة مدرسة وأن الطلبة كانوا يشتغلون بأنواع العلوم من كل فن .." ص ١٩٢ .

(٣) سيدة كاشف ، مصر فى فجر الاسلام (مرجع سابق) ، ، ص ٣٠٠ ، ٣٠١ .

(٤) القلقشندى ، صبح الأعشى (مصدر سابق) ، جـ٣ ص ٣٣٣ م ابن الكندى ، فضائل مصر ، تحقيق ايراهيم العدوى ، مكتبة وهبة ، القاهرة (١٩٧١م) ، ص ص ٣٧ : ٣٩ .

(٥) أحمد شلبى، التربية والتعليم فى الفكر الاسلامى، ط١ ، النهضة المصرية ، القاهرة (١٩٨٧م) ، جـ٥ ، ص ٢٥٦

هى مظهر من مظاهر أية حضارة وأيضا أداة التفاهم بين أفرادها وجماعاتها ، فكـان للموجـات العربية فى مصر قبل الإسلام أثر فى دعم وتأييد إخوانهم الفاتحين ، فضلاً عما بذلوه من جهود ومحاولات بعد الفتح لتعريف المصريين بالدين الإسلامى وتعليمهم اللغة العربية (١) .

وقد ساعد انتشار اللغة وتغلغل الثقافة العربية فى أرض مصر ، إلى انتشارالإسلام بهـا وبتوالى اعتناق المصريين له زاد إقبالهم على تعلم دقائق اللغـة العربيـة وأسـرارها لكونهـا لغـة الصلاة ، وغدا المسجد الجامع مركز نشر الديانة واللغة حتى غدت مصـر فـى مسـتهل القـرن الثالث الهجرى مركزاً للثقافة العربية (٢) .

وكانت سرعة انتشار اللغة العربية تتوقف على مدى انتشار الإسلام وتعمق المصريين فى الثقافة العربية ، ففى خلافـة عمـر بـن عبـد العزيـز (٩٩ - ١٠١ هـ) دخـل الكثيرون فـى الإسلام حين أصدر أوامره لعامله بمصر "ايوب بن شرحبيل" بألا يتولى القبط رئاسة الكور (٣).

كما فضل تولى المسلمين للوظائف بدلا من أهل الذمة إذا تساوت الخبرات والمعـارف بيـن شـاغلى الوظـائف ، وهـذا أدى إلـى اعتنـاق الكثير للإسـلام ممـن رغبـوا فـى الاحتفـاظ بوظائفهم(٤) .

إن أوراق البردى العربية التى ترجع إلى عصر الولاة مايدل على هذا التحول فـأوراق القرن الأول الهجرى ، تكثر فيهـا أسـماء المسيحيين القبـط فـى العقـود الفقهيـة وعقـود الـزواج والمعاملات المالية ، ثم أخذت هذه الأسماء فى التضاؤل وبدأت تغلب الأسماء العربية ، أو تلـك العربية المصاحبة بألقاب مصرية مما يدل على أن من أسلم من الأبناء ابتداء من القـرن الثـالث الهجرى هو الذى وضحت فيه التأثيرات الإسلامية فى البلاد بل وصوحبت الأسماء العربية فـى تلك الفترة كذلك بأصناف الحرف التى اشتغلوا بها مما يؤكد على توثق الاندماج وقوته (٥) .

لم يحدث فى تاريخ اللغة العربية ماهو أبعد أثـراً فـى تقريـر مصيرهـا مـن أثـر ظهـور الإسلام فعندما رتل الرسول (صلـى اللـه عليـه وسلم) القـرآن علـى قومـه بالعربيـة ، تـأكدت

---

(١) أحمد مختار عمر ، تاريخ اللغة العربية فى مصر (مرجع سابق) ، ص ٥٤ .

(٢) حسن محمود ، الاسلام والثقافة العربية (مرجع سابق) ، ص ٩٦ .

(٣) الكندى ، الولاة والقضاة (مصدر سابق) ، ص ٨٩ .

(٤) السيد محمد ، الحضارة الاسلامية فى مصر (مرجع سابق) ، ص ٢٩١ .

(٥) جروهمان ، أوراق البردى المصرية (مرجع سابق) ، السفر الأول ص ١٢٩ : ١٣٢ ، السفر الرابع ، ص ٣ : ٧، ص ١٩ : ٢٨ . عن الأسماء العربية مع الحرف .

بعض السور القرآنية باللغة العربية حتى يستطيع تأدية الصلاة وإن كان انتشار اللغة العربية فى البدء كان أبطأ من انتشار الإسلام (١) .

لقد كان على الداخلين الجدد فى الإسلام نطق الشهادتين باللغة العربية وتلاوة القرآن وفهم معانيه لاتباع أوامره ونواهيه (٢) .

ومن هنا كان على الداخلين فى الإسلام من القبط غير الناطقين بالعربية أن يفهموا اللغة العربية حتى يستطيعوا فهم معانى القرآن وأداء الفرائض .

ومع دخول الإسلام إلى مصر غدت اللغة العربية هى لغة الثقافة الدينية الإسلامية والتعليم الدينى فى البلاد وأصبحت لغة الثقافة المعتمدة لنشر علوم القرآن والحديث والفقه ووضع أسس المدرسة الدينية فى مصر (٣) .

وامتد الاهتمام بعلوم القرآن منذ عهد مبكر للثقافة العربية الإسلامية بالبلاد حيث أنها تمثل المركز للعلوم والمعارف الإسلامية ن فقد شاع الاهتمام بنصوص وعلوم القرآن حتى اضطر الخليفة عثمان بن عفان إلى استنساخ نسخة للقرآن وأرسل منها نسخاً إلى معظم الأقطار المفتوحة (٤) .

لقد أظهر العرب منذ اللحظات الأولى لوجودهم بمصر الاهتمام الثقافى بالمحافظة على مراكز الحضارة الرومانية التى كانت مصدر الثقافة الرفيعة ، فقد كان بمصر مدارس للطب والهندسة والكيمياء وعلم الفلك والحساب والفلسفة ، أبقى العرب على بقاياها بل واستفادوا من بعضها خاصة فى علوم الطب والكيمياء حتى أن الأمير خالد بن يزيد اشتهر بمعرفته للكيمياء والاشتغال بها اعتماداً على كتب العلماء المصريين (٥) .

وإن كانت جذوة تلك المؤسسات قد خمدت قبل الفتح فإنها أخذت تتقد تدريجياً مع الفتح الإسلامى بحيث لانكاد نصل لمنتصف القرن الثانى الهجرى حتى أصبح لعلمائها حظ وافر من

---

(١) عبد الحليم النجار ، اللغة (دراسات فى اللغة واللهجات والأساليب) ، القاهرة (١٩٥٣)، ص ١ ، ٤ .

(٢) هل ، الحضارة العربية ، ترجمة ابراهيم العدوى ، الانجلو المصرية ، القاهرة (١٩٥٦م) ص ص ٢٦ : ٢٨ .

(٣) حسن محمود ، الاسلام والثقافة العربية (مرجع سابق) ، ص ٨٣ ، ١٠٨ .

(٤) ابن سحنون ، آداب المعلمين ، تونس (١٩٧٢م) ص ص ٧٥ : ٨٠ .

(٥) الشرقاوى ، تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين ، دار الكتب ، القاهرة (١٩٧٢م) ص ١٣ ، ١٤ / الدوميلى ، العلم عند العرب وأثره فى تطور العلم العالمى ، ترجمة عبد الحليم النجار ، ط١ ، بيروت (١٩٦٢م) ، ص ١٢٣ ، ١٢٦ .

العلوم والدراسات وبخاصة الدينية فعملوا على نشرها فى العالم العربى كقراءة ورش ومذهب الإمام مالك والإمام الشافعى كما بدأت بها كتابات التاريخ والسيرة والتصوف (١) .

لقد دعا الإسلام إلى العلم وحث على طلبه ودلت الكثير من آيات القرآن على ذلك أيضاً حرص الرسول (صلى الله عليه وسلم) على دعوة المسلمين بالأخذ بالعلم والبحث والدراسة والنظر وتحيل العقل حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) " اطلبوا العلم ولو فى الصين " فالعلماء لهم أعلى المراتب حيث أنهم ورثة الأنبياء فيقول أيضاً (صلى الله عليه وسلم) " العلماء ورثة الأنبياء " (٢) .

وكان هذا دأب خلفائه (صلى الله عليه وسلم) فعن الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال لكميل " ياكميل ، العلم خير من المال ن العلم يحرسك وأنت تحرس المال ، العلم حاكم والمال محكوم عليه المال تنقصه النفقة والعلم يزكوا بالإنفاق " (٣) .

وقد دعا الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز عماله لنشر العلم فى الولايات بقوله : " أما بعد – فأمر أهل العلم أن ينشروا العلم فى مساجدهم فإن السنة كانت قد أميتت (٤) .

وقد ساعد على انتشار العلم بالبلاد توفر أوراق البردى بها فبدأت المكاتبات عليها باللغة العربية وظهر عليها الخط العربى منذ أوائل العصر الإسلامى (٥) .

كما اشتهرت مصر بالعلماء فى عصورها القديمة ، فقد حظيت بنفس تلك الشهرة فى العصر الاسلامى ، وكان كثير من العلماء يفضل القدوم اليها لما تتمتع به من مميزات منها اعتدال المناخ صيفاً وشتاءً وخيرات أرضها طوال العام فوفد إليها العلماء من كافة الأقطار الإسلامية وكما قال عنها عمرو بن العاص " ولاية مصر تعدل الخلافة " تلك التى أقبل إليها الصحابة والتابعين للتدريس بمسجدها كافة العلوم حتى غدوا اساس مدرستها الدينية وقد ساعدوا على إعداد جيل جديد من العلماء المصريين ممن برعوا فى العلوم الدينية والفقهية لدرجة تفوق بعضهم على أساتذتهم (٦) .

---

(١) شوقى ضيف ، مصر فى عصر الدول والامارات (مرجع سابق) ص ٧ ، ٨ .

(٢) البخارى ، الجامع الصحيح ، مطابع دار الجيل ، بيروت ، جـ١ ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٣) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، دار الكتب ، القاهرة (١٩٣٥م) جـ١ ص ١٢٠ / احمد شلبى ، التربية والتعليم فى الفكر الاسلامى (مرجع سابق) ، جـ٥ ص ص ٢٨٩ : ٢٩١ .

(٤) ابن الجوزى ، سيرة عمر بن عبد العزيز ، تحقيق محب الدين الخطيب ، مطبعة المؤيد ، القاهرة (١٣٣١ هـ) ، ص ٩٣ : ٩٤ .

(٥) البلاذرى ، فتوح البلدان ، النهضة المصرية ، القاهرة (١٩٥٦م) ، جـ١ ، ص ٢٨٣ .

(٦) ابن ظهيرة ، الفضائل الباهرة (مصدر سابق) ، ص ص ١٤٣ : ١٤٧ / مجهول ، الاستبصار فى عجائب الأمصار ، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، الدار البيضاء (١٩٨٥م) ، ص ٤٩ / الاسحاقى ، أخبار الأول (مصدر سابق) ، ص ٩٢٨ .

إن انتشار العربية فى مصر كانت ميزة للعرب عن غيرهم من الفاتحين السابقين لأن الشعوب التى توالت على مصر قبل العرب لم تتمكن من القضاء على لغة المصريين أو قوميتهم وهذه ظاهرة تستحق إمعان النظر فيها ، حيث أن تنازل شعب عريق عن حضارته ومدنيته كالشعب المصرى أمر غير عادى ، بل أننا نجد مصر فى أواخر عصر الولاة تشارك فى الحياة الأدبية العربية مشاركة واضحة ، وليس أدل على ذلك من استشهاد عالم الفقه واللغة الإمام الشافعى بأحد أبنائها المصريين ويعرف " بسرج الغول " قال عنه " حجة فى اللغة " (١) .

وهذا يدل على خصوبة اللغة العربية ومرونتها وغناها ، فأبجديتها وإن كانت محدودة الحروف إلا أنها شاملة لمعظم الصوات بحيث تناظر مخارج الحروف فى اللغت الأخرى ، فضلا عن غزارة مفرداتها بحيث يسهل للإنسان أن يختار منها ما يلائم مطالب الحياة ، لذا أجمع الباحثون من علماء اللغات على أن العربية هى أرقى اللغات السامية جميعاً وأوسعها أفقاً، بل يجزم البعض على أنها أرقى لغات العالم لمرونتها وسعة اشتقاقاتها ، وظهر ذلك أول ماظهر فى الشعر الجاهلى بأوزانه وقوافيه وتعبيراته الدقيقة وخياله الواسع ، ثم جاء نزول القرآن بها إعلاء لشأنها بآياته المحكمات وبلاغته الساحرة (٢) .

لقد أصبحت اللغة العربية لغة حضارة عظيمة تفوقت على القبطية واليونانية واللاتينية والسريانية والبربرية وحلت محلهم جميعاً فانتشرت العربية وغدت لغة الثقافة والحضارة وأصبحت لغة ثقافة عالمية (٣) .

كما لم يكن عسيراً على لغة كالعربية عرفت بالأصالة والخصوبة أن تقوم بمهمتها فى التعبير عن الأفكار ونقلها حتى استطاعت بذلك أن تصبح أداة لنقل ماكان من علوم الفرس والهنود واليونان والرومان ، فلم يكد ينصرم القرن الثانى الهجرى حتى كانت خلاصة هذه الثقافات قد تم تدوينها باللغة العربية وأصبح العرب على معرفة كبيرة بعلوم الحساب والهندسة والطب والفلسفة وغدت العربية تعبر عن أدق نظريات إقليدس وفلسفة أرسطو وطب جالينوس وفلك بطليموس (٤) .

---

(١) سيدة كاشف ، مصر فى فجر الاسلام (مرجع سابق) ص ٢٤٨ .

(٢) أحمد أمين ، فجر الاسلام ، النهضة المصرية ، القاهرة (١٩٦٥م) ، ص ٥٤ .

(٣) أحمد مختار عمر ، تاريخ اللغة العربية (مرجع سابق) ص ٣٩ : ٤٠ .

(٤) ابن العبرى ، مختصر تاريخ الدول (مصدر سابق) ص ٢٤٦ : ٢٤٧ / سعيد عاشور ، بحوث فى تاريخ الاسلام وحضارته (مرجع سابق) ص ١٤٨ .

لقد ترجم العرب كتب فيلون الفيلسوف البيزنطى ن وخرائط بطليموس الاغريقى ونظريات كبرنيقوس فى الفلك ، وكتب أهرون فى الطب وفسروا الكتب اليونانية والسريانية إلى العربية وكان أشهر من قام بالترجمة " حنين بن اسحاق " فى عهد الخليفة المأمون (١) .

حتى الكتب الدينية المسيحية تم ترجمتها ايضاً حتى يتمكن العرب من الاطلاع عليها ومعرفة مافيها من تعاليم وساعد فى تلك الترجمات "يحيى النحوى المصرى " (٢) .

ويعود الفضل للأمير خالد بن يزيد فى ترجمة الكتب اليونانية بمصر والشام وخاصة كتب الطب والكيمياء وعلم الهيئة وقد برع نفسه فى علوم الكيمياء (٣) .

وكان للأصبغ بن عبد العزيز بن مروان أثر كبير فى ترجمة الكتب والمعارف المصرية حتى أنه طلب من بنيامين القبطى أن يترجم الإنجيل من القبطية إلى العربية ، ونشطت الترجمة فى عهده بشكل واسع (٤) .

ولا أدل على مرونة اللغة العربية وقدرتها على التعبير العلمى من أن العرب حين بدأوا فى حركة الترجمة حتى اكتشفوا أن لغتهم قادرة على التعبير عن هذه المصطلحات اليونانية بألفاظ عربية خالصة ، فجعلت العربية من نفسها لغة حية عالمية تصلح لكل زمان ومكان (٥) .

هذه اللغة التى غدت لغة الحكم والإدارة والقوانين والحياة الاجتماعية ، أصبحت كذلك لغة العلم والثقافة الدينية والفلسفة أظهرت العلاقة مابينه وبين دخول الإسلام والعرب للبلاد وبين التعليم والحياة العلمية والعقلية فى البلاد فى عصر الولاة وهو المجال الأساسى للدراسة .

ولقد كان لتلك العوامل السياسية والإدارية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية والدينية أكبر الأثر فى تشكيل سمات النظام التعليمى فى مصر فى عصر الولاة وفى تشكيل المؤسسات التعليمية وأنواع التعليم الذى يقوم فيها وأقسام العلوم والمناهج ، وفى تحديد أنواع المعلمين وسماتهم والمتعلمين وطبيعة العملية التعليمية وما إلى ذلك من ملامح النظام التعليمى الذى ساعد على التحول الثقافى والحضارى لمصر الذى كان فى مصر فى عصر الولاة بحق هو حجر الزاوية فى النقلة الحضارية والثقافية والدينية من العصر البيزنطى إلى العصر الإسلامى كما سيتضح من خلال الفصول القادمة .

---

(١) البيهقى ، تاريخ حكماء الاسلام ، تحقيق محمود محمد كرد ، دمشق (١٩٤٦م) ص ص ١٦ : ١٩ .

(٢) ادوارد جى براون ، الطب العربى ، ترجمة داود سليمان على ، بغداد (١٩٦٤م) ص ٢٢ .

(٣) بارتولد ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، مرجع سابق ، ص ٦٩ .

(٤) السيد محمد ، الحضارة الاسلامية فى مصر (مرجع سابق) ص ٢٩٣ .

(٥) سعيد عاشور ، بحوث فى تاريخ الاسلام وحضارته (مرجع سابق) ص ١٤٩ .